ISSN: 2957 - 8108

# مجلة بحوث

# جامعة حلب في المناطق المحررة

المجلد الثالث ـ العدد الثاني

الجزء الأول

7 / 12 / 1445 هـ - 13 / 6 / 2024 م

علميّة - ربعيّة - محكّمة

تصدر عن

جامعة حلب في المناطق المحرّرة

بسم الله الرحمن الرحيم

## الهيئة الاستشارية لمجلة جامعة حلب في المناطق المحررة

د. جلال الدين خانجي　　أ.د زكريا ظلام　　أ.د عبد الكريم بكار

أ. د إبراهيم أحمد الديبو　　أ.د. أسامة اختيار　　د. أسامة القاضي

د. يحيى عبد الرحيم

## هيئة تحرير مجلة جامعة حلب في المناطق المحررة

رئيس هيئة التحرير: أ.د أحمد بكار

نائب رئيس هيئة التحرير: أ.د. عماد برق

| أعضاء هيئة تحرير البحوث التطبيقية | أعضاء هيئة تحرير البحوث الإنسانية والاجتماعية |
|---|---|
| أ.د. عبد العزيز الدغيم | أ.د عبد القادر الشيخ |
| أ.د ياسين خليفة | د. جهاد حجازي |
| أ.د. جواد أبو حطب | د. ضياء الدين القالش |
| أ.د. عبد الله حمادة | د. سهام عبد العزيز |
| أ.د. محمد نهاد كردية | د. ماجد عليوي |
| د. ياسر اليوسف | د. أحمد العمر |
| د. كمال بكور | د. محمد الحمادي |
| د. مازن السعود | د. عدنان مامو |
| د. عمر طوقاج | د. عامر المصطفى |
| د. محمد المجبل | د. أحمد أسامة نجار |
| د. مالك السليمان | |
| د. عبد القادر غزال | |
| د. مرهف العبد الله | |

أمين المجلة: هاني الحافظ

# مجلة جامعة حلب في المناطق المحررة

مجلّة علميّة محكّمة فصليّة، تصدر باللغة العربية، تختص بنشر البحوث العلمية والدراسات الأكاديمية في مختلف التخصصات، تتوفر فيها شروط البحث العلمي في الإحاطة والاستقصاء ومنهج البحث العلمي وخطواته، وذلك على صعيدي العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الأساسية والتطبيقية.

## رؤية المجلة:

تتطلع المجلة إلى الريادة والتميز في نشر الأبحاث العلميّة.

## رسالة المجلة:

الإسهام الفعّال في خدمة المجتمع من خلال نشر البحوث العلميّة المحكّمة وفق المعايير العلمية العالمية.

## أهداف المجلة:

- نشر العلم والمعرفة في مختلف التخصصات العلميّة.
- توطيد الشراكات العلمية والفكرية بين جامعة حلب في المناطق المحررة ومؤسسات المجتمع المحلي والدولي.
- أن تكون المجلة مرجعاً علمياً للباحثين في مختلف العلوم.

**الرقم المعياري الدولي للمجلة ISSN: 2957-8108**

**الموقع الإلكتروني للمجلة:** www.journal.uoaleppo.net **البريد الإلكتروني:** journal@uoaleppo.net

**معايير النشر في المجلة:**

١- تنشر المجلة الأبحاث والدراسات الأكاديمية في مختلف التخصصات العلميّة باللغة العربية.

٢- تنشر المجلة البحوث التي تتوفر فيها الأصالة والابتكار، واتباع المنهجية السليمة، والتوثيق العلمي مع سلامة الفكر واللغة والأسلوب.

٣- تشترط المجلة أن يكون البحث أصيلاً وغير منشور أو مقدم لأي مجلة أخرى أو موقع آخر.

٤- يترجم عنوان البحث واسم الباحث والمشاركين أو المشرفين إن وجدوا إلى اللغتين التركية والإنكليزية.

٥- يرفق بالبحث ملخص عنه باللغات الثلاث العربية والإنكليزية والتركية على ألا يتجاوز ٢٠٠-٢٥٠ كلمة، وبخمس كلمات مفتاحية مترجمة.

٦- يلتزم الباحث بتوثيق المراجع والمصادر وفقاً لنظام جمعية علم النفس الأمريكية (**APA7**).

٧- يلتزم الباحث بألّا يزيد البحث على ٢٠ صفحة.

٨-ترسل البحوث المقدمة لمحكمين متخصصين، ممن يشهد لهم بالنزاهة والكفاءة العلمية في تقييم الأبحاث، ويتم هذا بطريقة سرية، ويعرض البحث على محكّم ثالث في حال رفضه أحد المحكّمين.

٩- يلتزم الباحث بإجراء التعديلات المطلوبة خلال ١٥ يوماً.

١٠- يبلغ الباحث بقبول النشر أو الاعتذار عنه، ولا يعاد البحث إلى صاحبه إذا لم يقبل، ولا تقدم أسباب رفضه إلى الباحث.

١١- يحصل الباحث على وثيقة نشر تؤكد قبول بحثه للنشر بعد موافقة المحكمين عليه.

١٢-تعبّر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها، لا عن رأي المجلة، ولا تكون هيئة تحرير المجلة مسؤولة عنها.

## جدول المحتوى

**مستوى مهارات ما وراء الذاكرة**..... ٩
د. عبد الحي المحمود

**قلق المستقبل وعلاقته بتقدير الذات لدى طلاب الجامعة في الشمال السوريّ**..... ٥١
أ. أحمد المحمود د. محمد الحمادي

**أثر التوزيعات النقدية في القيمة السوقية للشركات باختلاف الصناعة**..... ٩٣
د. عبد الحكيم المصري

**مفهوم المكر في القرآن**..... ١٢٧
أ. مؤمنة رياض السّكعة د. ماجد عليوي

**القسم المسبوق بالأداة (أمَا) في شعر مجنون ليلى وابن الدُّمَيْنة**..... ١٨٥
أ. جابر فرحان السلامة د. ضياء الدين عبد الغني القالش

**أزمة الهوية وعلاقتها بحل المشكلات**..... ٢١٣
أ. حسين الكنش د. عبد الحي المحمود

**العامل الاقتصادي وأثره في التنافس السوفيتي- الأمريكي في الخليج العربي بين عامي (١٩٧١-١٩٧٣م)**..... ٢٣٩
أ. أحمد ازعيتر د. سهام هنداوي

**أثر السّياق في الدّلالات الخاصّة لصيغ جموع التّكسير**..... ٢٦٣
أ. هيفاء شيخ محمّد د. أحمد محمّد العمر

**التحول إلى اللهجة الحضرية من قبل متحدثي اللهجة البدوية من سنجار في**..... ٢٨٥
أ. محمد العزام د. عبد الحميد معيكل

**دور إدارة الاحتواء العالي في تعزيز الصحة التنظيمية لدى العاملين في جامعات الشمال السوري باستخدام نمذجة المعادلات البنائية**..... ٣٠٧
أ. حسام إبراهيم د. محمود علي عريض د. عمر دره

# مفهوم المكر في القرآن
## دراسة موضوعية

إعداد:

أ. مؤمنة رياض السّكعة  د. ماجد عليوي

**ملخص البحث:**

يتناول البحث لفظ المكر في القرآن الكريم، واختلاف دلالته بحسب السياق القرآني، ومقارنته مع ألفاظ أخرى وردت في القرآن قد يشتبه معناها معه كالكيد والخداع والتبييت والحيلة والخبال والمحال، وذِكر الفرق بين هذه الألفاظ والمكر من حيث المعنى، وضرب الأمثلة التي وردت في القرآن الكريم عن المكر، كمكر الأقوام السابقة بأنبيائهم والصالحين من أقوامهم الذين دعوهم إلى الطريق القويم، فما كان تعاملهم معهم إلا بالمكر والخديعة، فتناول البحث بعضاً من طرق مكرهم بمن دعاهم إلى الحق، وتعرض البحث أيضاً لنسبة المكر لله واختلافه عن مكر العبد من حيث المقابلة والقوة والطريقة اعتماداً على ما ورد في القرآن، وتناول البحث أيضاً بعضاً من أسباب هذا الخلق الذميم المنسوب للعبد، وذكر أنواع المكر بحسب السياق الوارد في القرآن، وذكر سبل الوقاية منه وعلاجه. وانتهى بذكر نتائج وتوصيات فيما يخص التفسير الموضوعي.

**كلمات مفتاحية:** الكيد – المكر – التبييت–المحال–الخداع–الحيلة– الخبال – مكر الله.

# The concept of deception in the Holy Quran Objective study

Preparation by:

Miss. Momena Ryad ALsakaa Dr. Majed elewe

**Abstract:**

The research deals with the word deceit in the Holy Qur'an and its different meanings according to the Qur'anic context, and compares it with other words mentioned in the Qur'an whose meaning may be suspected, such as AL makr, AL Kaid, AL Khida'a, AL Tabeit, AL Hila, AL Khobal and AL Mihal, and mentions the difference between these terms and deception in terms of meaning.

And he gave the examples mentioned in the Holy Qur'an about deception, of the peoples who preceded their prophets and the righteous among their people who called them to the right path.

This research also deals with the percentage of God's deception and its difference from the servant's deception in terms of confrontation, strength, and method, depending on what is stated in the Qur'an.

The research also dealt with some of the causes of this reprehensible character attributed to the servant, and mentioned the types of deception according to the context contained in the Holy Qur'an, and mentioned ways to prevent and treat it.

It ended with the results and recommendation regarding objective interpretation.

**Keywords**: maliciousness - deception - fraud - impossibility - deception - trickery - deception, God's deception.

# Kur'an kerimde mekirlik anlamı

## Konu çalışması

Hızırlayanlar:

Mümine Riyad el sakaâ  Dr. Maçed elewe

**Araştırma özeti:**

Bu araştırma kur'an kerimde mekirlik telaffuzundan, kur'an kerim ayetlerine göre anlamların farklarından ve kur'an kerimde geçen sözlerle karşılaştırma yapmaktan bahsediyor ve bu sözler mekirlik anlamına benzer ( keid , khidâ , tebiit ,hile , khibal ve mihal) kelimelri gibidir. Ayrıca bu araştırma mekirlik anlamı ile bu sözlerin anlamı arkasındaki farklardan bahsediyor."Eski milletler peygamberlere ve salihlere mekirlik ile nasıl davranmış" kur'an kerimden mekirlik hakkında bu örneği veriyor. Buna ek olarak araştırma kur'an kerimde geçen khidâ ve mekirlik yöntemlerinden bahsedip Allah tarafından gelen mekirlik anlamı ile kullarının mekirliği arasındaki farkları açıklıyor,

Bunların hepsi ile mekirlik sepebleri ,türleri ve tedavisinden bahseden kur'an kerime dayanır.

**Anahtar Kelimeler**: kötü niyetlilik - aldatma - sahtekarlık - imkansızlık - aldatma - hile - aldatma, Allah'ın aldatması.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**المقدمة:**

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد تعددت أساليب المفسرين في محاولة الغوص في معاني كتاب الله للوصول إلى جواهره، فمن تفسيرٍ فقهي إلى تفسيرٍ إشاري وحديثاً تفسير موضوعي: وهو إفراد الآيات القرآنية الّتي تعالج موضوعاً واحداً وهدفاً واحداً، بالدراسة والتفصيل، بعد ضمّ بعضها إلى بعض، مهما تنوعت ألفاظها، وتعددت مواطنها – دراسةً متكاملةً مع مراعاة المتقدم والمتأخر منها، والاستعانة بأسباب النّزول، والسّنة النّبويّة، وأقوال السّلف الصّالح المتعلقة بالموضوع[٤٩]. ونظراً لجدّة التفسير الموضوعي، ورغبةً في التّعرف عليه هذا الباب من التّفسير أحببت أن أتناول موضوعاً من موضوعات القرآن الكريم في هذه الدّراسة.

**أولاً: أهمية البحث وسبب اختياره:**

تكمن أهمية البحث في:

– اتصاله بمنهج التّفسير الموضوعيّ الّذي وضّح علوماً في القرآن لم نكن نلتفت إليها سابقاً.

–كونه يوضح لنا عقوبة المكر وجزاء الماكرين في الدّنيا والآخرة.

– صلة المكر بالنّفس الإنسانية وارتباط المكر بالواقع الّذي نعيش فيه.

– تعدد المعاني للمكر واختلاف هذه المعاني بحسب السّياق القرآنيّ.

– نسبة المكر لله في القرآن.

أما سبب الاختيار: فهو صلة المكر بوقتنا الحالي فلا يخلو مجتمعٌ من ماكرٍ يمكر به أو له.

**ثانياً: إشكالية البحث:**

تكمن الإشكالية في تعدد لفظ المكر وتداخل ألفاظ أخرى تحمل معانيَ قريبة من معناه، فكان السّؤال الّذي حاولت الإجابة عليه هو: هل جاءت الصّيغ المختلفة للمكر بمعنىً واحد أم جاءت هذه الألفاظ المختلفة بمعانٍ أخرى غير المكر، وإن اتفقت معه بالمعنى؟ هل يذكر المكر في القرآن ويراد به المكر

(٤٩). التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج عنه/أحمد بن عبد الله الزهراني/الجامعة الإسلامية–المدينة المنورة/ر.ط/١٤١٣هـ/(١٢/١).

الحسن؟ هل نسبة المكر إلى الله في القرآن الكريم تختلف في نسبتها إلى الإنسان؟

**ثالثاً: صعوبات البحث:**

لم أصادف –ولله الحمد – صعوباتٍ جمّةً في البحث، ولكنّها الصّعوبات الاعتيادية الّتي تصادف كلّ طالب علمٍ يحاول أن يضع قدمه على بداية طريق البحث العلمي الصّحيح، هذا إضافة إلى التّعامل لأوّل مرةٍ مع التّفسير الموضوعيّ الّذي لم أكن أعلم عنه شيئاً، هذا الأمر جعل الخوض في هذه التّجربة بالنسبة إليّ تجربةً تتصف بالجِدّة، أشبه ما تكون برحلةٍ علميةٍ نورانيةٍ في رحاب القرآن الكريم، والّذي جعلني أتعامل مع القرآن بأسلوبٍ جديدٍ.

**رابعاً: الدراسات السابقة:**

لم أعثر على رسائل أو موضوعات سابقة كتبت في المكر إلا رسالة للدّكتور زياد الدغامين بعنوان: ((منهجية البحث في التفسير الموضوعي)) والّتي كان فيها بحثٌ تطبيقيّ عن المكر ساعدني في توضيح بعض النّقاط، وعلى حلقة بحثٍ لنيل درجة الماجستير في أصول الدّين في كلية الدّراسات العليا من جامعة النّجاح الوطنيّة في نابلس فلسطين للطّالبة إيمان فايز عبد الوّهاب بإشراف الدّكتور خضر سوندك بعنوان المكر، وكانت الرّسالة عن طريق الإنترنت، ووجدت فيها كثيراً ممّا تعلمّته، فكان الجديد في بحثي هذا زيادة على بحث الطالبة إيمان عبد الوهاب الدلالات البيانية في ورود صيغة المكر بالفعل الماضي والمضارع والمصدر، وتفصيل خلاف المفسرين بين مكر الله ومكر العبد فالحمد لله أولاً وآخراً، وعند نهاية كتابة بحثي علمت ببحث بعنوان ((المكر والماكرون بين النصوص القرآنية والسنن الكونية)) للدكتور رمضان الغريب ولم أستطع العثور إلا على ملخص له على الشابكة.

**خامساً: منهج البحث:**

اعتمدت المنهج الاستقرائيّ والتحليلي، حيث استقرأت الآيات الوارد فيها لفظ المكر استقراءً كاملاً، ثمّ اعتمدت على توضيح الأفكار والتّأكيد عليها من كتاب الله وتفسير المفسرين ومن السّنة النّبويّة وأسباب النّزول. وتناولت قصصاً للأنبياء والمكر الّذي واجهوه من قومهم كما يشمل البحث المكر الحسن ومعنى المكر الذي يليق بجلال الله تعالى.

**سادساً: منهج الكتابة والتوثيق:**

١- وثّقت كل فكرةٍ بذكر المصدر والجزء والصّفحة.

٢- قمت بتوثيق الآيات في المتن فقط.

٣- خرّجت ما ورد من الحديث النبوي من الكتب المعتمدة في الحديث وذكرت حكم الحديث الوارد في غير الصحيحين.

٤- اعتمدت في البحث على تفاسير القرآن وكتب الحديث وقواميس اللغة وكتب في التفسير الموضوعي.

٥- ذكرت في فهرس الآيات جزءاً من الآية واسم السّورة والصّفحة الّتي وردت فيها في البحث.

**سابعاً : خطة البحث:**

قسمت البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة

الفصل الأوّل: التّعريف بالمكر ودلالته في السّياق القرآنيّ، ويتضمن:

المبحث الأوّل: التعريف بالمكر وذكر نظائره في القرآن.

المبحث الثاني: معاني المكر التي وردت في القرآن

المبحث الثالث: المكر في قصص القرآن

المبحث الرابع: لفتات ولطائف

الفصل الثاني : المكر في القرآن الكريم ويتضمن: المبحث الأول: أسباب المكر وأنواعه.

المبحث الثاني: عواقب المكر وعلاجه.

الخاتمة والتوصيات.

الفهارس.

**الفصل الأول : تعريف المكر ودلالته في السياق القرآني**

**ويقسم إلى ثلاثة مباحث:**

**المبحث الأول : التعريف بالمكر وذكر نظائره في القرآن.**

**المبحث الثاني: معاني المكر في القرآن الكريم.**

**المبحث الثالث: المكر في قصص القرآن.**

**المبحث الرابع: لفتات ولطائف.**

لابد قبل الشروع في أي بحث من التعريف بمفرداته لغة واصطلاحاً ليتسنى لنا الإحاطة بمعاني المكر في اللغة، وكذلك دلالته في الاصطلاح.

**الفصل الأول: التعريف بالمكر ودلالته في السياق القرآني:**

المكر لفظ عربي يحتاج للرجوع لكتب العربية حتى نتعرف على أوجه استعمال العرب لهذا اللفظ.

المبحث الأول: التعريف بالمكر وذكر نظائره في القرآن.

للتعرف على المكر على نحوٍ دقيق لابد من معرفة لفظ (المكر) وأصل معنا في اللغة العربية:

**أولاً: التعريف بالمكر لغة واصطلاحاً:**

المكر لغةً: هو الخداع والاحتيال أو هو حُسنُ خدالة السّاقين، وقيل: بأنّ المكر احتيالٌ في الخفية[٥٠]، وقيل: إنّ المكر هو المغرَة؛ أي: التّخضب. ووُصفت السّوق بالمكر؛ لكثرة المكر والخداع فيها. وقيل: "ولا أنكرُ أنْ يكونَ من المكر الّذي هو الخديعة"[٥١] وقيل أيضاً:" إن مكر مكراً من باب قتل خدع"[٥٢].

---

(٥٠). مادة مكر/لسان العرب/ جمال الدين ابن منظور، ت (٧١١) هـ /دار صادر –بيروت / ط٣/١٤١٤هـ/ (٤٢٤٧/٤٧)، والقاموس المحيط/ مجد الدين الفيروزآبادي، ت (٨١٧)هـ/ تحقيق: مكتب تحقيق التراث، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي/مؤسسة الرسالة –بيروت/ط٨/ ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م/ (٢٦٩/٢)، ومعجم مقاييس اللغة/أحمد بن فارس، ت (٣٩٥)هـ/تحقيق: عبد السلام هارون/دار الفكر –دمشق/ر.ط/ ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م/ (٣٤٥/٥).

(٥١). لسان العرب لابن منظور (١٨٣/٥-١٨٤)، وتهذيب اللغة/ أبو منصور الأزهري، ت (٣٧٠)هـ/تحقيق: محمد عوض مرعب/ دار إحياء التراث العربي – بيروت/ط١/ ٢٠٠١م/ (٢٤٠/١٠)، والمحكم والمحيط الأعظم/ ابن سيده المرسي، ت(٤٥٨) هـ/ تحقيق: عبد الحميد هنداوي/دار الكتب العلمية – بيروت/ط١/ ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م (٣١/٧)، وتاج العروس/ مرتضى الزبيدي، ت (١٢٠٥)هـ/دار الهداية- بيروت/ر.ط/ت.ط/ (١٤٧/١٤-١٤٨).

٥٢()). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير/ أبو العباس الفيومي، ت (٧٧٠) هـ/المكتبة العلمية – بيروت/ر.ط/ت.ط/ (٥٧٧/٢).

والمكر أُخذ من التفاف الغصون بعضها على بعض التفافاً بحيث لا تستطيع إن أمسكت ورقةً أنْ تعلم هذه الورقة لأيّ غصنٍ، وقال: لا يمكر إلا الضّعيف"[٥٣].

ويتضح لنا ممّا سبق أنّ المكر فيه معنى التّغطية والسّتر، وفيه نوعٌ من حسن التّدبير والسّبك والتّنظيم.

**المكر اصطلاحاً:**

يفرق العلماء بين المكر من طرف العبد والمكر من طرف الله، فالمكر من طرف العبد: احتيال في الخفية [٥٤].

وعرفه الأصفهاني: "بصرف العبد عما يقصده بحيلة"[٥٥].

وعرفه الجرجاني بـ: "إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر"[٥٦].

أما المكر من طرف الله: فهو إرداف النّعم مع المخالفة، وإبقاء الحال مع سوء الأدب وإظهار الكرامات من غير جهدٍ، والمعنى استمرار عطاء الله على العبد مع عصيانه وغفلته بحيث يبقى على حاله رغم مخالفته لأمر ربه، وقد قال علي بن أبي طالب ﷺ: "من وُسّع عليه دنياه ولم يعلم أنّه مُكِر به فهو مخدوعٌ في عقله، وقيل: ايقاعُ بلائه بأعدائه دون أوليائه"[٥٧].

وجاء إسناد المكر لله تعالى في قوله تعالى في سورة آل عمران: (وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [آل عمران:٥٤]

وقوله تعالى(أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) [الأعراف:٩٩].

في قوله تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال:٣٠].

---

(٥٣). تفسير الشعراوي/محمد متولي الشعراوي، ت (١٤١٨) هـ/ مطابع أخبار اليوم-مصر/ر.ط/ت.ط/ (٧/٣٩١٥).

٥٤(). غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب/أبو بكر السجستاني، ت (٣٣٠)هـ/تحقيق: محمد أديب جمران/دار قتيبة – سورية/ط١/ ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م/ (١/٥٠٩)، وغريب القرآن/ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت (٢٧٦)هـ/تحقيق: أحمد صقر/دار الكتب العلمية-بيروت/ر.ط/١٣٩٨هـ-١٩٧٨م/(١/١٩٥).

(٥٥). المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (١/٧٧٢)

(٥٦). التعريفات/ الشريف الجرجاني، ت (٨١٦)هـ/دار الكتب العلمية- بيروت/ ط١/ ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م/(١/٢٢٧)

٥٧(). المصدر السابق (١/٢٢٧)، ولسان العرب لابن منظور (٥/١٨٣)، وعاب قول من قال: إنه استدراج للعبد في طاعاته، فقال إنها مردودة المعنى.

**وفي قوله تعالى:** (وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ) [الرعد:٤٢].

وورد بلا تصريح بلفظ الجلالة في قوله تعالى: (وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون) [النمل:٥٠].

اختلف العلماء في هذه النسبة:

* فمنهم من رأى أنها على سبيل المشاكلة: وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته[٥٨]. وذلك لأن الله تعالى لم يستعمل المكر في حقه كحال الخداع والاستهزاء فهي لا تنسب إلى الله ابتداء. فتكون على سبيل المشاكلة، واستدلوا بوقوع المشاكلة في مواضع عدة من القرآن. والمعنى هنا إهلاك الكفار من حيث لا يشعرون، ففيه تشبيه الإهلاك بالمكر لأنه إضرار وتدبير في الخفاء.

وقد ذكر صاحب ((بغية الإيضاح في شرح علوم المفتاح)): وهو من باب تسمية المسبب باسم السبب أن هذا على معهود العرب في الخطاب كما فُهم من قول الشاعر:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أي: لا يقم أحد يتصرف الجاهلين فنعاقبه عقاباً شديداً"[٥٩].

وذكر البغوي في تفسيره لقوله تعالى: (وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين) [آل عمران:٥٤]: أن المكر المنسوب للعبد هنا هو الحيلة والخديعة والخبث، بينما المكر المنسوب لله هو الاستدراج والأخذ بغتة كما قال تعالى: (فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُون) [القلم:٤٤][٦٠]. لكنّ المكر الوارد في قوله تعالى: (أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُون)

---

(٥٨). مفتاح العلوم/يوسف بن أبي بكر السكاكي، ت (٦٢٦)هـ/ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور/دار الكتب العلمية، بيروت/ ط٢/ ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧ م/(٤٢٤/١)

(٥٩). انظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة/ عبد المتعال الصعيدي، ت (١٣٩١)هـ/مكتبة الآداب-مصر/ط١٧/ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م/(٤٦٧/٣)

(٦٠). انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن= تفسير البغوي/محيي السنة، البغوي، ت (٥١٠) هـ/تحقيق: عبد الرزاق المهدي/دار إحياء التراث العربي –بيروت/ط١/ ١٤٢٠ هـ /(٤٤٥/١)

[الأعراف:٩٩] منسوبٌ لله وحده دون نسبته للعبد[٦١]. وقد أجاب ابن عاشور عن هذا الإشكال أنه من باب المشاكلة التقديرية[٦٢]: وهو ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً[٦٣].

*ومنهم من يرى أن المكر المنسوب لله هو على سبيل المجازاة: فيكون المعنى في قوله: (أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُون} [الأعراف:٩٩]: أفأمنوا جزاء مكرهم. كما في قوله تعالى: (وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) [الشورى:٤٠]، وقوله تعالى: (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ) [البقرة:١٩٤].

فسمى الجزاء مكراً وإن لم يكن مكراً، والجزاء سيئة وإن لم تكن سيئة.

قال الماتريدي: "ألا ترى أنه لم يجز أن يسمى مكاراً، ولو على حقيقة المكر لسمّي بذلك، فدلّ على أنه جزاء، وجائز أن يكون المراد من مكره جزاء مكرهم، سمى الجزاء باسم المكر لأنه جزاؤه، وكما في قوله تعالى: (وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) [الشورى:٤٠] فالثانية ليست سيئة"[٦٤]. وذكر الزجاج: أن مكر الله هو جزاء مكرهم لأنه في مقابلته كما في قوله تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ) [النساء:١٤٢] وقوله تعالى: (اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ) [البقرة:١٥].

وقد ذكر ابن الهائم في كتابه ((التّبيان)) الفرق بين مكر الله ومكر العبد في قوله تعالى: {وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين) [آل عمران:٥٤]: "اختُلف فيه في حقّ الله تعالى، فقيل: هو من المتشابه، وقيل: لأوجهٍ:

الأوّل: أنّه عبارةٌ عن الاحتيال في أفعال الشّرّ، وذلك على الله- سبحانه- محالٌ، وذكروا في تأويله وجهين: أحدهما: أنّه سمّي جزاءً ومكراً استهزاءً بهم.

والثّاني: أنّ مقابلته لهم شبيهةٌ بالمكر.

---

(٦١). انظر: العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير/محمد الأمين الشنقيطي، ت (١٣٩٣)هـ/تحقيق: خالد السبت/إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد/دار عالم الفوائد – مكة المكرمة/ط٢/ ١٤٢٦ هـ/(٧/٤)

(٦٢). انظر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»/محمد الطاهر ابن عاشور، ت (١٣٩٣)هـ/الدار التونسية – تونس/ ١٩٩٨ هـ/ (٢٥٧/٣)

(٦٣). بغية الإيضاح للصعيدي (٥٨٨/٤)

(٦٤). تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)/ أبو منصور الماتريدي، ت (٣٣٣)هـ/تحقيق: د. مجدي باسلوم/دار الكتب العلمية – بيروت/ط١/ ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م/(٣٨١/٢)

والوجه الثّاني: أنّ المكر عبارةٌ عن التّدبير المُحكم الكامل، ثمّ اختصّ في العُرف بالتّدبير في أفعال الشّرّ إلى الغير، وذلك في حقّ الله- تعالى- لا يمتنع"[٦٥].

وذكر محمد أبو زهرة: أن مكر الله ليس على سبيل المشاكلة؛ لأن المكر هو التدبير الذي يجتهد صاحبه في إخفائه عمن يمكر به؛ ولذا نسب المكر إلى الله تعالى ولا يمكن أن يكون عمل الله تعالى إلا خيراً ولذا وصف مكر غيره بالسيِّئ في قوله تعالى: ( وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ ) [فاطر:٤٣]، فدل على أن مطلق المكر لا يعد سيئاً، وما هو إلا عمل عدل، ولكن سمي به للتماثل بين الفعلين في الواقع ليتحقق الدفاع العادل [٦٦].

* ومنهم من يرى أنه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه: ومثال ذلك ما قال ابن عطية في تفسيره لقوله تعالى: (أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُون) [الأعراف:٩٩]: "من باب إضافة المخلوق إلى الخالق كما نقول: ناقة الله"[٦٧]. وذكر صاحب (الدر المصون)): "أنها من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، والمراد به فعل يعاقب به الكفرة، وأضيف إلى الله لما كان عقوبة الذنب، فإن العرب تسمي العقوبة على أي جهة ذنباً"[٦٨].

*ومنهم من يرى هي من باب إضافة الصفة إلى الموصوف: قال صاحب ((أضواء البيان)): "والتحقيق أن المكر صفة أطلقها الله على نفسه، ولا يجوز إطلاقها على الله إلا في الموضع الذي يُطلقها هو على نفسه أو رسوله ﷺ، وقد أجمع جميع العلماء أنه لا يجوز أن يُشتق له منها اسم، فلا تقل: من أسمائه الماكر؛ لأن ذلك لا يجوز إجماعاً"[٦٩].

والمقصود أن المكر وصف لله، وصفه لذاته فذكر أنه (خير الماكرين) وأن كيده متين كما قال: (وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِين) [القلم:٤٥].

---

(٦٥). التبيان في تفسير غريب القرآن/ ابن الهائم، ت (٨١٥)هـ/تحقيق: د. ضاحي عبد الباقي محمد/دار الغرب الإسلامي – بيروت/ط١/ ١٤٢٣ هـ/ (١/١٢٥).

(٦٦). انظر: زهرة التفاسير/محمد أبو زهرة، ت (١٣٩٤) هـ/دار الفكر العربي–مصر/ر.ط/ت.ط/(٣/١٢٤٠)

(٦٧). انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ابن عطية الأندلسي، ت (٥٤٢) هـ/تحقيق: عبد السلام محمد/دار الكتب العلمية – بيروت/ط١/ ١٤٢٢ هـ/(٢/٤٣٣)

(٦٨). انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/السمين الحلبي، ت (٧٥٦)هـ/تحقيق: د. أحمد محمد الخراط/دار القلم- دمشق/ ر.ط /ت.ط/ (٥/٣٩٣)

(٦٩). العذب المنير من مجالس الشنقيطي (٤/٧)

فالمقصود أنها صفة كمال؛ لأن صفات الله صفات كمال، فعلى هذا القول لا يجوز وصف الله بالمكر على سبيل الإطلاق إلا عندما يكون الوصف في مقابل مكر العبد. وكل الأقوال السابقة جائزة.

بعد الفراغ من تعريف المكر والتفريق بين مكر العبد ومكر الله تعالى لابد من الوقوف قليلاً مع مفردات تحمل معنًى قريباً لمعنى المكر حتى نتبين الفروق بينها وبين المكر.

**ثانياً: نظائر المكر في القرآن الكريم:**

اختلف العلماء في قضية الترادف في القرآن على قولين:

الأول: الترادف موجود في القرآن، ومنهم ابن السكيت، ت (٢٤٤)هـ.

الثاني: لكل لفظ في القرآن الكريم دلالته الخاصة الي يتميز بها عن الألفاظ التي تطلق على معنى واحد وهو مذهب ابن فارس، ت (٣٩٥) هـ[٧٠] وبالتالي لا ترادف في القرآن الكريم. ولقد قال الزركشي في كتابه ((البرهان)): "فعلى المفسر مراعاة الاستعمالات والقطع بعدم الترادف ما أمكن فإن للتركيب معنًى غير معنى الإفراد، ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب، وإن اتفقوا على جوازه في الإفراد"[٧١].

سأذكر أهم الألفاظ التي تتلاقى مع لفظ المكر:

**١ – الكيد:**

الكيد لغة: المكر والخبث، والحيلة والحرب[٧٢].

وذكر ابن فارس: "(كيد) أصل صحيح يدل على معالجة لشيء بشدة"[٧٣].

الكيد اصطلاحاً: هو "إرادة مضرة الغير خفية. وهو من الخلق الحيلة السيئة، ومن الله تعالى التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق"[٧٤].

تتضح صلة المكر مع الكيد يتلاقى المكر مع الكيد بجامعِ أنّ كلاً منهما لا يكون إلا بعد تفكر وتدبر

---

(٧٠). انظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق/عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، ت (١٤١٩)هـ/دار المعارف-مصر/ط٣/ت.ط/(٢١١/١)

(٧١). البرهان في علوم القرآن/بدر الدين الزركشي، ت (٧٩٤)هـ/تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه- القاهرة/ط١/ ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م/(٧٨/٤).

(٧٢). لسان العرب لابن منظور (٣٨٣/٣) مادة كيد.

(٧٣). مقاييس اللغة لابن فارس (١٤٩/٥).

(٧٤). التعريفات للجرجاني (١٨٩/١).

حتّى أنّ صاحب ((مقاييس اللغة)) قال: "وإنّهم يُسمّون المكر كيداً"[٧٥]. وذكر أن الكيد معناه المعالجة بشدة بينما المكر هو الاحتيال والخداع[٧٦].

وعرّفه صاحب ((المفردات)) اصطلاحاً فقال: "الْكَيْدُ: ضربٌ من الاحتيال، وقد يكون مذموماً وممدوحاً، وإنْ كان يُستعمل في المذموم أكثر، وكذلك الاستدراج والمكر، قال: (وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِين) [القلم:٤٥] قال بعضهم: أراد بالكيد العذاب[٧٧]، والصّحيح: أنّه هو الإملاء والإمهال المؤدّي إلى العقاب[٧٨] ويعدّ الكيد أقوى من المكر، لأنّ الكيد يتعدى بنفسه، بينما المكر يتعدى بالحرف، وما يتعدى بنفسه أقوى فهو يتعدى باللام، ليدلّ على التّدبير الخفيّ الحسن، ويتعدى بحرف الجر (على)، ليدلّ عل التّدبير الخفي السّيء ومنه: ما نُقل عن النبي ﷺمن دعاء:" ربّ امكرْ لي ولا تمكر علي"[٧٩]. والكيد: إيقاعُ الضرر بالآخر قهراً سواءً عُلم أم لم يُعلم، بينما المكر: إيقاعُ الضّرر بالآخر من غير علمٍ[٨٠]، والكيدُ ما يقرب إيقاعُ المقصود به من المكروه، بينما المكر ما يجتمع به من المكروه[٨١]. وقد يأتي الكيد بمعنى المكر كما ورد في قوله تعالى: (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) [طه:٦٩]

حيث ذكر الطّبريّ في معرض تفسيرها: "إنّ الكيد هو المكر والخدعة، فالساحر مكره وخدعته من سحرٍ يُسحر، ومكرُ السحر وخدعته: تخيله إلى المسحور، على خلافِ ما هو به في حقيقته، فالساحر كائدٌ بالسحر بطريق التخييل، فإلى أيّهما أضفت الكيد فهو صوابٌ"[٨٢].

ونسب الله الكيد لنفسه فقال تعالى: (وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِين) [القلم:٤٥] وفسره الطّبري قائلاً: "إنّ

---

(٧٥). انظر مقاييس اللغة لابن فارس (١٤٩/٥).

(٧٦). انظر: المصدر السابق (٣٤٥/٥).

(٧٧). الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٦١٨/٣).

(٧٨). انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (٧٢٨/١).

(٧٩). هو جزء من حديث طويل أخرجه ابن ماجه عن عبد الله بن عباس. انظر: سنن ابن ماجه/كتاب الدعاء/دعاء رسول اللهﷺ/برقم (٣٨٣٠)، وسنن أبي داود/كتاب الصلاة/باب ما يقول الرجل إذا أسلم/برقم (١٥١٠)، وسنن الترمذي/باب الدعوات/برقم(٣٥٥١)، وذكر الترمذي أنه حديث حسن صحيح.

(٨٠). انظر: معجم الفروق اللغوية للعسكري (٥٠٨/١)

(٨١). انظر:معجم الفروق اللغوية للعسكري(٥٠٨/١)، ومنهجية التفسير الموضوعي/ زياد الدغامين/دار البشير-عمان/ط١/١٤١٦هـ-١٩٩٥م/ (٥٢/١).

(٨٢). جامع البيان في تأويل القرآن/محمد بن جرير الطبري، ت (٣١٠) هـ/تحقيق: أحمد محمد شاكر/مؤسسة الرسالة-بيروت/ط١/ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م/ (٣٣٧/١٣)

الكيد هو المكر"[٨٣]. ووصف الله مكره بالشدة والقوة بينما وصف الله الكيد من الشيطان بأنه ضعيف، فقال: ( إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً) [النساء:٧٦]

وفرق الدامغاني بينهما بقوله: "الكيد على سبعة أوجه: العذاب والقتل والمكر والحيلة والصنع والإحراق بالنار والخنق، والمكر على خمسة أوجه: تكذيب الأنبياء وفعل الشرك، وقول الشرك وإرادة القتل، والحيلة"[٨٤].

ومع تقارب المعنى بين الكيد والمكر إلا أنّ الله لم ينسب لذاته صفة الكيد فلم يقل خيرُ الكائدين أو أحسن الكائدين بينما قال: خير الماكرين وذلك والله أعلم، لأنّ المكر يكون للخير ويكون للشر بينما الكيد لا يكون إلا بقصد الضّر، فالله تعالى ذكر الكيد عند قوله: (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً) [الطارق:١٥] (وَأَكِيدُ كَيْداً) [الطارق:١٦] (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً) [الطارق:١٧] فقوله: (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ} للدلالة على أنّ هذا الكيد واقعٌ على الكافرين وبقصد الضّرر بدليل الإمهال[٨٥]، وذكر الرازي في نسبة المكر لله في هذا الموضع وجوهاً، منها: أنه بمعنى دفعه تعالى كيد الكفرة عن محمد ﷺ ويقابله الكيد بنصرة الله تسمية لأحد المتقابلين كما في قوله تعالى: (يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُون) [البقرة:٩][٨٦]. يتلاقى المكر مع الكيد في أنه لا يكون إلا مع التدبر والتفكير، لكن الكيد أقوى[٨٧].

**٢- التّبييت:**

التبييت لغة: من بيّت، وبيّت الأمر إذا عمله ليلاً أو دبره ليلاً[٨٨]. والتّبييت كذلك يدخل تحت مفهوم المكر، فالبياتُ والتّبييتُ أنْ تأخذ العدوّ ليلاً وكأنّك أخذته من بيته فيقال: بيّت الأمر إذا دبّره ليلاً، وإنْ كان لا يُعدّ مرادفاً له لكنّه -والله أعلم- مرحلةٌ من مراحل المكر إذ فيه تبييت النّية بقصد إيقاع الشّر بالغير، وخاصّة إن كان مكر جماعةٍ من النّاس بشخصٍ أو أكثر وكان هذا الاتّفاق أو ايقاع

---

(٨٣). جامع البيان للطبري (٢٨٨/١٣).

(٨٤). إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن/الحسين بن محمد الدامغاني، ت (٤٨٧)هـ/تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل/دار العلم للملايين-بيروت/ط٣/١٩٨٠م/ (٤٣٩/١).

(٨٥). انظر: المصدر السابق ( ٣٦٣/٢٤)، ومفاتيح الغيب/ فخر الدين الرازي، ت(٦٠٦) هـ/دار إحياء التراث العربي – بيروت/ط٣/ ١٤٢٠ هـ/ (١٢٣/٣١).

(٨٦). انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٢٣/٣١).

(٨٧). انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٢٥٩/١).

(٨٨). لسان العرب (١٦/٢) مادة بيت.

الشّر ليلاً، ومنه قوله تعالى حكايةً على لسان قوم صالح: (قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُون) [النمل:٤٩].

وكأنّ المقصد من ذكر التبييت أحياناً الإشارةُ إلى وقت إيقاع المكر[٨٩]، وقد وصف الله تبييتهم هذا بالمكر، فقال: (وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون) [النمل:٥٠] (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِين) [النمل:٥١].

وقد يعني التّبييت التّغيير كما نجد هذا المعنى في تفسير المفسرين لقوله تعالى: (وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً) [النساء:٨١].

بمعنى غيّر جماعةٌ منه ما تقول، وكل عمل عُمِلَ ليلاً فقد بُيّت[٩٠]، ولم يكن هذا التّغيير والله أعلم إلا بنية المكر والغدر.

**٣- الخداع:**

ورد في تعريف بالمكر اصطلاحاً أنّه هو الاحتيال والخداع، إلا أن الخداع لغة: تغير من حال إلى حال، يقال: خدع فلان، تخلق بغير خلقه[٩١].

والخداع اصطلاحاً: إنزال الغير عمّا هو بصدده بأمرٍ يبديه على خلاف ما يخفيه[٩٢]، فهو تخلق بغير الخلق السائد بين الناس؛ لجر المخدوع لما يريده المخادع.

ذكر ابن فارس نقلاً عن الخليل: أن الخداع هو إخفاء الشيء[٩٣].

يختلف الخداع عن المكر بأن الممكور به يتوقع المكر من الماكر لكن المخادع عداوته ظاهرة بينة، فالمخدوع ينتظر السوء ويتحسب له من طريق فينال منه المخادع من طريق أخرى[٩٤]، كما أنّ الله

---

(٨٩). انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٣٢٥/١).

٩٠(). انظر: جامع البيان للطبري (٥٦٢/٨)، وتفسير الراغب الأصفهاني، ت (٥٠٢) هـ/تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني/ كلية الآداب – جامعة طنطا/ط١/ ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م/(١٣٤٧/٣).

(٩١). لسان العرب لابن منظور (٦٤/٨) مادة خدع.

(٩٢). انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (٢٧٦/١).

(٩٣). انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١٦١/٢).

(٩٤). لسان العرب (١٨٣/٥)

تعالى وصف المنافقين بالخداع، لأنهم يتلونون ويتغيرون من حال إلى حال، فيظهرون الإيمان أمام المؤمنين والكفر فيما بينهم. ووصف المشركين والكفار بالمكر، والخداعُ يُقصد منه التّمويه والإضلال، ويُقصد منه المنافق التّستر عن الأعين، وذكر صاحب ((الفروق)): "أنّه لا يحتاج دائماً إلى تدبر وتفكر"[٩٥]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِين﴾ [الأنفال:٦٢].

والضّمير هنا يعود على الكفار[٩٦]، فهم يشبهون المنافقين في الخديعة، وفي قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُون﴾ [البقرة:٩]، حيث فسر الخداع هنا بالمكر حيث قال السعدي: "والمخادعة: أن يُظهر المخادعُ لمن يخادعه شيئاً، ويُبطن خلافه لكي يتمكن من مقصوده ممّن يخادع، فهؤلاء المنافقون، سلكوا مع الله وعباده هذا المسلك، فعاد خداعهم على أنفسهم، فإن هذا من العجائب"[٩٧]. فالخداع: هو إظهار ما يبطنُ خِلافه أراد اجتلاب نفع أو دفع ضرر، وليس بالضرورة أن يكون بعد تفكير ونظر[٩٨]، فكان القصد من الخداع يتفق مع القصد من المكر وهو إرادة الضرر والأذى إن كان من جانب البشر.

**٤- الحيلة:**

الحيلة لغة: من الحيلة وهي ما أُحيلَ به عن وَجهه فيُجلب به نفع أو يدفع به ضر، فالحيلة بقدر النّفع والضّر مِن غير وجهٍ وإنّما سُمّي ذلك حيلةً؛ لأنّه شيءٌ أُحيل من جهةٍ إلى جهةٍ أخرى ويُسمّى تدبيراً أيضاً[٩٩].

والحيلة اصطلاحاً: استنفاذ طريقة أو طرق، لتحويل المرء عما يكرهه إلى ما يحبه[١٠٠].

وتفترق الحيلة عن المكر بأنّ مِنَ الحيلة ما يعدّ مكراً، ومنها ما ليس كذلك، فما كان الهدف منه جلبُ نفعٍ أو دفعُ ضرٍ فهو لا يعدّ مكراً، أمّا المكر المنسوب للعبد فلا يُقصد منه نفعٌ ولا يُقصد منه إلا

---

(٩٥). انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٢٥٨/١).

(٩٦). انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥٤٨/٢).

(٩٧). انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ السعدي، ت (١٣٧٦)هـ/تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق/مؤسسة الرسالة- بيروت/ط١/ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م/(٤٢/١).

(٩٨). انظر: معجم الفروق اللغوية للعسكري (٢٦٠/١).

(٩٩). لسان العرب لابن منظور (١٨٧/١١).

(١٠٠). التعريفات للجرجاني (٩٤/١).

الضّرر بالآخرين، كما أنّ المكر بهدف ضرر الغير من غير أنْ يُعلم به وسواءٌ كان من وجهه أو لا، والحيلةُ لا تكون إلا من غير وجهه، والله لم يُسمّ هذا الفعل حيلةٌ بل سمّاه مكراً، وذكر صاحب ((الفروق)) فرّقاً بين الحيلة والمكر فقال: "الحيلةُ قد تكون لإظهار ما يَعسرُ من الفعل من غير قصدٍ إلى الإضرار بالعبد بينما المكر: حيلةٌ على العبد تُوقعه في مثل الوهق[١٠١]". وقد ذكر الرازي تفسيراً لقول الله تعالى: (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُون) [النحل:٢٦] أنّ مكر هؤلاء كان عبارة عن حيلة احتالوها على النّاس[١٠٢]. وقد تسمى الحيلة مكراً، لأنها قيلت على خلاف الرشد[١٠٣].

فالحيلة أقرب ما تكون والله أعلم لتكون وسيلة فعلية لمكر الماكرين بالممكور بهم.

**٥- المحال:**

وردت صيغة المحال وهي تحتمل معنى المكر في قوله تعالى: (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَال) [الرعد:١٣]

وذكر الزّازي: أنّ المعنى أنّه شديد المكر بأعدائه يهلكهم بطرقٍ وأساليبَ لا يتوقعونها[١٠٤].

والمِحال: لغة: هو الكيد والمكر، والمِحال هو المكرُ بالحق[١٠٥].

أما اصطلاحاً: الوصول في خفية من النّاس إلى ما فيه حكمة، وعلى هذا النّحو وُصِف بالمكر والكيد لا على الوجه المذموم، تعالى الله عن القبيح[١٠٦] وهو وصفٌ خاصٌ بالله عز وجل وصف به ذاته. وقد قيل في قوله تعالى ( وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَال) [الرعد:١٣] بمعنى شديد المكر والعقوبة[١٠٧].

فعلى هذا يشترك المِحال الذي نسبه الله لنفسه مع المكر في الجزاء والعقوبة، فكانت عقوبة الله شديدة

---

(١٠١). الفروق اللغوية للعسكري (٢٠٦/١).

"الوهق: الحبل يرمى في أنشوطة فتؤخذ به الدابة والانسان". انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٢٠٧/١).

(١٠٢). انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢٤/١٩).

(١٠٣). انظر: الفروق اللغوية للعسكري ( ٢٦٠/١).

(١٠٤). مادة محل/لسان العرب لابن منظور (٦١٩/١١).

(١٠٥). المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (٢٦٧/١).

(١٠٦). انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس/ أبو بكر الأنباري، ت (٣٢٨) هـ/تحقيق: د. حاتم صالح الضامن/مؤسسة الرسالة – بيروت/ط١/ ١٤١٢ هـ -١٩٩٢ (٩/١)، والكشاف للزمخشري (٥٢٠/٢).

(١٠٧). انظر: جامع البيان للطبري (٤٥٣/٦)، ومفاتيح الغيب للرازي (٢٣٦/٨)، وتفسير القرآن العظيم/ ابن كثير، ت (٧٧٤) هـ/تحقيق: سامي بن محمد سلامة/دار طيبة للنشر والتوزيع/ط٢/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م/ (٤٦/٢).

ومكره عظيماً.

من هنا نصل أنّ المكر أنه تدبير للغير بخفية، بقصد السّوء إن صدر من إنسانٍ، وبقصد الجزاء إن صدر من الإله.

بعد التعرض لنظائر المكر في القرآن ينبغي لنا ذكر معاني المكر الواردة في القرآن الكريم:

**المبحث الثاني: معاني المكر في آيات القرآن الكريم:**

بما أن البحث دراسة موضوعية عن لفظ المكر في القرآن لابد من ذكر الآيات التي جاء فيها لفظ المكر في القرآن الكريم حتى نتمكن من الإحاطة بالمعنى المقصود من اللفظ. ومن أبرز هذه المعاني:

**١- المكر بمعنى الاستدراج:**

* قوله تعالى: (وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [آل عمران:٥٤] أي: ومكر الذين كفروا من بني إسرائيل، ويدلنا على ذلك سياق الآية وسباقها، حيث قال الله تعالى: (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [آل عمران:٥٢] **وقال:** (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) [آل عمران:٥٣]

نلاحظ من الآية أنّ عيسى عليه السلام أحسّ من قومه الكفر، فسأل عن أعوانه وأنصاره[١٠٨]، وقد ذكر الله ذلك بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) [الصف:١٤]

وكان مكر قومه مُواطأة بعضهم بعضاً على الفتك بعيسى عليه السلام وقتله.

أمّا مكر الله بهم فهو إلقاؤه شَبَه عيسى عليه السلام على بعض أتباعه حتّى قتله الماكرون بعيسى عليه السلام وهم يحسبون أنّه عيسى عليه السلام، فكان استدراجاً من الله لهم فأخفى ما أعدّ لهم[١٠٩].

ذكر ابن عاشور: أن مكر الله بهم هو تمثيل لإخفاق الله تعالى مساعيهم في حال ظنهم نجاحها،

(١٠٨). انظر: جامع البيان للطبري (٤٥٣/٦).

(١٠٩). انظر: المصدر السابق (٩٣/١٢)، ومفاتيح الغيب للرازي (١٩٥/١٣).

وإضافة المكر إلى الله من باب المشاكلة[١١٠].

وذكر الفراء أن المكر من الله استدراج، لا على مكر المخلوقين[١١١].

وقد ورد قول الله تعالى: (وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُون) [الأعراف:١٨٢]

وقال الله تعالى: ( وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين) ولم يقل أشد أو أقوى، إما للتنبيه على أن مكرهم يبطل في مقابلة مكر الله، وإما لأن مكر الله في ذاته خيرٌ وحسنٌ، وإما أن مكرهم لو كان فيه خير لكان مكر الله أحسن[١١٢].

* ومثله قوله تعالى: (أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُون) [الأعراف:٩٩]

جاءت الآية في سياق الكلام عن حال الأقوام مع أنبيائهم بدءاً من قوم نوح عليه السلام وانتهاء بشعيب عليه السلام وكيف كان هلاكهم بالاستئصال وإما بفقدان النعم والوقوع في الشدائد والبلاء، بيّن الله العلة في ذلك وهي رفضهم دعوة أنبيائهم فقال ﷻ: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُون) [الأعراف:٩٤].

(ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون) [الأعراف:٩٥].

وذكر بعد ذلك طريق النجاة من هذا البلاء بقوله: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُون) [الأعراف:٩٦].

أعاد تهديدهم بالإفناء والاستئصال فقال: (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُون) [الأعراف:٩٧] (أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُون) [الأعراف:٩٨]

**فجاء بعد هذا التحذير قوله تعالى:** (أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُون) [الأعراف:٩٩] ليخبرهم أنهم أمنوا أن يأتيهم العذاب وهم لا يشعرون به، فكان مكر الله هو استدراج

---

(١١٠). انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٣/٢٥٦) .

(١١١). معاني القرآن/ الفراء، ت (٢٠٧)هـ/تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي/دار المصرية – مصر/ط١/ت.ط/ (١/٢١٨).

(١١٢). انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٥/٤٧٢).

العبد وأخذه من حيث لا يشعر، وجاء نسبة المكر إلى الله على وجه التحذير وسمّاه مكراً توسعاً، لأنّ الواحد منا إن أراد المكر بصاحبه أخذه من حيث لا يشعر[١١٣].

ويعدّ ابن عاشور أن المكر هنا استعارة للإمهال والإنعام في حال الإمهال، فشبه حال الإنعام مع الإمهال وتعقيبه بالانتقام بحال المكر[١١٤].

جاء لفظ المكر بصيغة المصدر والذي يدل والله أعلم على ثبات هذا الحال في الناس إلا ما ندر.

*(وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) [يونس:٢١]

ذكر المكر هنا ٣ مرات، نسب الأول للكافرين، والمرة الثانية مضافاً لله، والمرة الثالثة لبيان تسجيل الملائكة لمكرهم.

جاءت الآية في سياق الحديث عن شبهات المشركين في إنكار نبوته ﷺ فطالبوه بآية أخرى غير القرآن، فكان هذا مكرهم، وأنزل الله ادعاءهم هذا بقوله: (وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ فَانْتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ) [يونس:٢٠]

فكان جوابه أن الغيب لله، فبيّن الله أن من عادة القوم الكفر واللجاج والإنكار والطّعن في الآيات والاحتيال في دفعها، فمهما جاءتهم البينات فلن يؤمنوا، فعندما أنعم الله على أهل مكة بأسباب الرفاهية ورغد العيش بطروا وتمردوا وطالبوا بالآيات لأجل تلك النعم. فجاء مكر الله بهم بمعنى الاستدراج أو العقوبة على المكر[١١٥]. فهو أشد استدراجاً أو أسرع عقوبة. ويتناسب سياق الآية مع ما تقدم من قوله تعالى: (وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [يونس:١٢]

إلا أنه تعالى زاد أمراً في هذه الآية أنهم يمكرون عند وجود الرحمة فبيّن عادة الكفار اللجاج والعناد

---

(١١٣). انظر: جامع البيان للطبري (٣٣/١٣)، والجامع لأحكام القرآن/ شمس الدين القرطبي، ت(٦٧١) هـ/ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش/دار الكتب المصرية – القاهرة/ط٢/ ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م/ (٢٦٠/٧)، ومفاتيح الغيب للرازي (٤٥٣/٢)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٠/٩).

(١١٤). التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٤/٩).

(١١٥). انظر: جامع البيان للطبري (٦٩/١٦)، ومفاتيح الغيب للرازي (٤٣٥/٢).

والإنكار[١١٦]. وربما دل على ذلك استعمال لفظ المكر بصيغة المصدر الذي يدل على الحدث مجرداً عن الزمن للدلالة على عادتهم في ذلك وكذلك عادة من يأتي بعدهم. ثم جاءت الآية بعدها لتعطي مثالاً عن مقابلتهم نعم الله بالكفران والجحود وهو: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [يونس:٢٢][١١٧].

وقال الماوردي عند قوله تعالى: (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) [يونس:٢١] : "فيه وجهان:

أحدهما: أن المكر ها هنا الكفر والجحود.

الثاني: أنه الاستهزاء والتكذيب.

ويحتمل ثالثاً: أن يكون المكر ها هنا النفاق، لأنّه يظهر الإيمان ويبطن الكفر[١١٨] مكراً بالناس. والله تعالى يصف الكفار والمشركين بالمكر ويصف المنافقين بالخداع ومنه قوله تعالى: (يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُون) [البقرة:٩] والمنافق ماكر، لأنه يبطن الكفر ويظهر الإيمان ويرتقب الفرص حتّى يطعن من حوله ويحيك الدسائس، ولا أدل على ذلك من مكر المنافقين برسول اللهﷺ حين غدروا به في غزوة أحد[١١٩] وعندما تآمروا مع اليهود حتى يبنوا مسجد الضّرار[١٢٠] وغيرها كثير.

ذكر أبو السعود في تفسيره لقوله تعالى: (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) [يونس:٢١].

قال: "أي: بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها"[١٢١] ويكون بإلقاء الشبه، وتخليط

---

(١١٦). انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢٣١/١٧).

(١١٧). انظر: المصدر السابق (٢٣٢/١٧).

(١١٨). النكت والعيون /الماوردي، ت (٤٥٠)هـ/تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم/دار الكتب العلمية – بيروت/ر.ط/ت.ط/ (٤٣٠/٢).

(١١٩). انظر: الرحيق المختوم/ صفي الرحمن المباركفوري، ت (١٤٢٧)هـ/دار الهلال – بيروت/ ط١/ت.ط/ (٢٢٩/١).

(١٢٠). انظر: المصدر السابق (٣٩٥/١).

(١٢١). إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٣٣/٤).

الأمور على الناس. وذكر الرازي: سمّى الله تكذيبهم بآيات الله مكراً، لأنهم يحتالون لدفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه[١٢٢].

**وقال الله تعالى:** ( قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً) فهم لما قابلوا نعمة الله بالمكر ، قابل الله مكرهم بمكر أشد، وهذا المكر إما بما أعد الله لهم يوم القيامة من العذاب الشديد والفضيحة والخزي في الدنيا، وإما أن الملائكة تكتب مكرهم ويحفظونه وتُعرض عليهم يوم القيامة فتكون سبباً للخزي والعياذ بالله[١٢٣].

جاء لفظ المكر هنا مقترناً بـ(إذا) الفجائية لبيان لون من ألوان مكرهم، وهو أنهم سارعوا إلى مقابلة عطاء الله لهم ورحمته بهم بعد الضراء والضيق الذي مسهم بالطعن في تلك النعم ونسبتها لآلهتهم[١٢٤]. وجاء المكر المضاف إلى الله تعالى في سورة مكية على سبيل المشاكلة والمقابلة، فعلى الرغم من كون مكرهم كان سريعاً مفاجئاً بعد ما أصابهم من الضيق إلا أن مكر الله بهم كان أسرع[١٢٥].

وذكر المضارع في (تمكرون) للدلالة على أن الكتابة تتجدد بتجدد مكرهم[١٢٦].

**٢- المكر بمعنى الفساد:**

في قوله تعالى: (وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً) [نوح:٢٢]

جاءت الآية في ذكر كفر قوم نوح عليه السلام بدعوته ومدى مكرهم بها، واختلف المفسرون بنوع مكرهم هذا، فمنهم من قال: إنهم قالوا قولاً عظيماً عندما نسبوا الإلهية لآلهتهم من الحيلة لاستمرارهم على عبادتها كما عبدها آباؤهم، فلو انصرفوا عن عبادتها إلى إله نوح فكأنهم اعترفوا على أنفسهم وعلى آبائهم بالجهل والضلال، فكأنهم أشاروا إلى هذا المعنى بلفظ (آلهتكم) ليصرفوا قومهم عن عبادة إله نوح، فلأجل هذه الحيلة سمى الله عملهم نكراً، وكذلك تغريرهم الناس بما أوتوا من المال والولد فقالوا أن آلهتكم وهبتك الولد والمال بينما لم يهبكم إله نوح هذا[١٢٧].

---

(١٢٢). انظر: جامع البيان للطبري (١٥/٥٠)، ومفاتيح الغيب للرازي (١٧/٢٣٢).

(١٢٣). انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٧/٢٣٢).

(١٢٤). انظر: فتح القدير/ الشوكاني، ت (١٢٥٠)هـ/دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق/ط١/١٤١٤ هـ/(٢/٤٩٤).

(١٢٥). انظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب/الطيبي، ت (٧٣٤)هـ/المكتبة الوطنية-الأردن/ط١/١٤٣٤هـ-٢٠١٣م/ (٧/٤٥٦)

(١٢٦). انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١١/١٣٤).

(١٢٧). انظر: جامع البيان للطبري (٦/٤٥٤)، ومفاتيح الغيب للرازي (٣/٦٥٦).

وذكر الرازي أنّ مكرهم كان عن طريق الفعل القبيح لإفساد الناس[١٢٨].

وذكر ابن الجوزي في تفسير الآية: "ومعنى «المكر»: السعي في الفساد: وذلك أن الرؤساء منعوا أتباعهم عن الإيمان بنوح عليه السلام"[١٢٩].

وجاءت الآية التالية لتوضح هذا المكر الكبير فقال الله تعالى: (وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً) [نوح:٢٣]

جاء لفظ المكر بصيغة المصدر الموصوف بـ(كباراً) وهي صيغة مبالغة من (كبير) للدلالة على أن تحريشهم سفلتهم على أذية نوح عليه السلام والدعوة إلى عبادة آلهتهم عموماً وما ذكر القرآن خصوصاً هو أكبر أنواع المكر[١٣٠]. وعظم مكرهم يتلاقى مع قوله تعالى: (وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) [إبراهيم:٤٦] الذي وصف مكرهم بأنه عظيم تزول منه الجبال.

**٣- الشرك:**

(قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ) [النحل:٢٦].

جاءت الآية في سياق الحديث عن عواقب إضلال المشركين وصدهم السائلين عن القرآن والإسلام، وذكر أن ما وقع بالأقوام السابقة من العقاب والعذاب لاحقٌ بهم مع أنهم لم يبلغوا بصنعهم مبلغ من كان قبلهم، وبما أن فعلهم هذا وقولهم عن القرآن (وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) [النحل:٢٤].

وصفه الله بالمكر؛ لأنهم أظهروه بمظهر النصح والإرشاد مع حرصهم على ملازمة الكفر[١٣١]، وذكر أن الأقوام السابقة راموا مغالبة الله ببناء بنوه، وراموا إلحاق الضرر بمن يريدون المكر به[١٣٢]. فكان عقابهم الاستئصال في الدنيا ولهم العذاب والخزي في الآخرة فقال: (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ)

---

(١٢٨). انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٦٥٦/٣).

(١٢٩). زاد المسير/ ابن الجوزي، ت (٥٩٧)هـ/تحقيق: عبد الرزاق المهدي/دار الكتاب العربي – بيروت/ط١/ ١٤٢٢ هـ /(٣٤٤/٤).

(١٣٠). انظر: حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي/دار صادر-بيروت/(٢٥٣/٨) .

(١٣١). انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣٣/١٤).

(١٣٢). انظر: جامع البيان للطبري (٢١٢/١٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٧٥/٤).

[النحل:٢٧].

وقال السمعاني في معنى المكر هنا قال: "مَعْنَاهُ: قد أشرك الَّذين من قبلهم، وَقيل: الْمَكْر هُوَ التَّدْبِير الْفَاسِد"(١٣٣).

وذكر البيضاوي أنهم صنعوا شباكاً ليمكروا برسل الله، فكان مكرهم هنا بمعنى تقديم أسباب المكر ومقدماته(١٣٤).

وهذا نظير قوله تعالى في مكر قوم صالح به عندما قال: (وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون) [النمل:٥٠]

وجاءت هذه الآية متناسبة مع مطلع السورة التي تنهى عن الاستعجال وخاتمتها التي تأمر بالصبر، وكأن الله يأمرنا بالصبر على مكر الماكرين والتحلي بالصبر حتى يحكم الله فيهم.

**٤- القول السيّئ:**

(فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيم) [يوسف:٣١].

وردت في قصة يوسف ومراودة امرأة العزيز، وافتضاح أمرها بين الناس عندما بلغها قول النسوة فيها: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِين) [يوسف:٣٠] فكان قولها الذي ذكره الله: (قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِين) [يوسف:٣٢]

وكان مكرهن هو قولهن تراود عبدها مكراً بها لتريهنّ يوسف أو أفشين لها سراً استكتمتهن، وقد سُمّي فعلهنّ مكراً حيث أنّهنّ أظهرن إنكار منكر، وقصدن إثارة غيظها أو غيبتهن إيّاها حتى يتوصلن لرؤية يوسف عليه السلام، وسمى فعلهن مكراً لأنهن أخفينه كما يخفي المكر مكره(١٣٥) فالمكر هنا تزيين

(١٣٣). تفسير السمعاني/ منصور بن محمد بن عبد الجبار، ت (٤٨٩)هـ/تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم/ دار الوطن-الرياض /ط١/ ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م/ (١٦٧/٣).

(١٣٤). انظر: حاشية الشهاب الخفاجي (٣٢٥/٥).

(١٣٥). انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (١٦٢/٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٧١/٩).

القول للوصول لهدف معين[١٣٦].

٥- **العمل السيّئ:**

(أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُون) [النحل:٤٥].

ومعناها: أفأمن الذين ظلموا المؤمنين فراموا أن يفتنوهم عن دينهم أو يمكرون بالناس في دعائهم إليها وحملهم على السيئات[١٣٧].

جاءت هذه الآية بعد ذكر مساوئ المشركين وأفعالهم وكيدهم، وبعد تهديدهم بيوم القيامة تصريحاً وخزي الدنيا تعريضاً، خصص نوعاً من العذاب الدنيوي وهو الخسف جزاء مكرهم. والعمل القبيح نوع من أنواع المكر[١٣٨].

حيث قال السمعاني في ذلك:" مكروا السَّيِّئَات" يَعْنِي: فعلوا السَّيِّئَات، وَذَلِكَ جحدهم التَّوْحِيد وعبادتهم غير الله، وعملهم بِالْمَعَاصِي، وَقد قَالُوا: إِن الْمَكْر فِي هَذَا الْمَوْضُوع هُوَ السَّعْي بِالْفَسَادِ، وَمَا قُلْنَاهُ أفسد الْفساد"[١٣٩].

وضرب الله مثلاً على قارون الذي عاقبه الله تعالى بالخسف بقوله تعالى: (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِين) [القصص:٨١]

وفي قوم لوط عندما عاقبهم الله فجعل عاليها سافلها فقال: (فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُود) [هود:٨٢].

***ومنه قوله تعالى:** (وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَال) [إبراهيم:٤٦]

أي: المكر هنا تأييد الكفر وبطلان الإسلام، ويكون بتبييت فعل السّوء بالغير، ومكرهم مسجل عند الله تعالى، وإن كان مكرهم من العظمة بحيث تزول منه الجبال أو لا يتجاوز مكر أمثالهم فلا تزول منه الجبال، وفيه تشبيه لقلب المؤمن، وكيف أنّ إيمانه يشبه الجبال الراسخات فلا يؤثر فيه مكر الماكرين[١٤٠]. وقد جاءت الآية بعد ذكر سكن المشركين في مساكن الأقوام السابقة، وتنبيه الله لهم

---

(١٣٦). انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢٣٨/٣).

(١٣٧). انظر: جامع البيان للطبري (٣٢٥/١٧)،ومعالم التنزيل في تفسير القرآن (١٠٤/٣).

(١٣٨). انظر: معالم التنزيل للبغوي (٨٠/٣).

(١٣٩). تفسير السمعاني (١٧٤/٣).

(١٤٠). انظر: جامع البيان للطبري (١٩٤/١٧) ومفاتيح الغيب للرازي (١٩٨/٢٠).

وتحذيرهم عاقبة الذين من قبلهم، فقال الله تعالى: (وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَال) [إبراهيم:٤٥].

ناسبت هذه السورة نهاية سورة الرعد التي سبقتها عندما قال الله تعالى: (وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّار) [الرعد:٤٢].

*ومنه قوله تعالى:(اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَحْوِيلاً) [فاطر:٤٣].

ومكر السّيّئ هو اجتماعهم على الشرك وقتلهم النبي[١٤١]. جاءت الآية بعد ذكر الله تعالى قولهم السيّئ: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً) [فاطر:٤٢] زعم المشركون أنهم لو جاءهم نبي وعلموا صدقه لاتبعوه، فلما جاءهم نبي الله أنكروا نبوته ورفضوا دعوته، وما كان هذا النفور والإنكار إلا لاستكبارهم في الأرض، ومكروا المكر السيّئ حين أضمروا القتل لأنبيائهم[١٤٢].

ذكر الواحدي أن المصدر (مكر السيّئ) من باب إضافة المصدر إلى الصفة كقوله تعالى: (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُون) [النحل:٤٥] فتقديره مكروا المنكرات السيئات، إلا أنك إن أضفت إلى السيّئ قدرت الصفة وصفاً لشيء غير المكر فيكون معناه مكر الشرك السيّئ[١٤٣]. بينما الرازي جعله عاماً في كل مكر مَكَروه[١٤٤].

من تتبع آيات المكر في هذه السورة نلاحظ تناسب هذه الآية مع مطلع السورة عندما ذكر في بدايتها (مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُور) [فاطر:١٠] وختمها بقوله تعالى: (اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ) [فاطر:٤٣] [١٤٥].

---

(١٤١). انظر: جامع البيان للطبري (٤٨٣/٢٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (٧٠٠/٣).

(١٤٢). انظر: معالم التنزيل للبغوي (٧٠٠/٣)، ومفاتيح الغيب للرازي (٢٤٧/٢٦).

(١٤٣). انظر: التفسير البسيط للواحدي (٤٤١/١٨).

(١٤٤). انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢٤٦/٢٦).

(١٤٥). مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع/جلال الدين السيوطي، ت (٩١١)هـ/مكتبة دار المنهاج- الرياض/ط١/ ١٤٢٦ هـ/ (٦٠/١).

*(وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِين) [النمل:٥٠-٥١].

جاءت الآية في سياق ذكر تآمر كفار قريش بالنبي ﷺ الوارد في قوله تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين) [الأنفال:٣٠] فضرب لهم مثلاً تآمر قوم صالح عليه السلام عليه، وكيف كانت عاقبة مكرهم. فقال: ومكروا مكرهم أي: غدرهم وما أظهروا من الموافقة لصالح وعقرهم الناقة خفية. وسماه مكراً لأنه تدبير ضر للغير في خفاء[١٤٦].

أما مكر الله تعالى فقد ذكر الرازي: أن مكر الله هو إهلاكهم، سماه مكراً على سبيل المجاز والاستعارة أو بمعنى إخفاء الله تعالى مكره إذ ورد أن الله تعالى أعلم نبيه بمكرهم فتحرز منهم أو إنزاله ملائكة ترميهم بالحجارة أمام بيته ولا يرون رامياً[١٤٧].

ومن أليم مكره انتشار الصيت الحسن بين الناس والعمل بالسر بخلاف ما يتوهم به وتزيين ذلك في أعينهم[١٤٨].

*ومنه قوله تعالى: (وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّار) [الرعد:٤٢].

وردت الآية في سياق طلبهم الأدلة على صدق الرسول ﷺ مظهرين شكهم في صدقه وهم يخفون تصميمهم على تكذيبه، فخرجوا من إبطان المكر إلى المجاهرة بما أبطنوا، فجاءت الآية بعد قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَاب) [الرعد:٤١] إنذار ووعيد لأنهم طلبوا الآيات مع أنهم مصرون على التكذيب والإنكار، فشبّه عملهم هذا بالمكر وبعمل من كان قبلهم [١٤٩].

(١٤٦). التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٨٤/١٩).

(١٤٧). انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥٦١/٢٤).

(١٤٨). انظر: معالم التنزيل للبغوي (٥١٢/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٠٩/٦).

(١٤٩). انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧٣/١٣).

(فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً)فلله المكر جميعاً؛ أي: أسباب المكر بيده[١٥٠]. وذكر ابن عطية: أنها العقوبات[١٥١].

وذكر الواحدي في تفسير هذه الجملة: أن مكر جميع الماكرين له ومنه فهو حاصل بتخليقه وإرادته، فالمكر لا يضر إلا بإذن الله، وفيه تسلية لقلب النبي وأمان له من مكرهم، وناسبها ما بعدها (يعلم ما تكسب كل نفس) فالله يعلم كسب كل عبد[١٥٢].

سبقت هذه الآية بقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) [الرعد:٤١].

للدلالة على أن نقص الأرض من مكر الله بهم جزاء مكرهم ولذلك أعقبها بقوله: (وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ) [الرعد:٤٢] [١٥٣].

*(وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) [النحل:١٢٧].

وردت الآية حين مثّل المشركون بقتلى المسلمين في معركة أحد: "بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم" فوقف رسول الله ﷺ على حمزة بن عبد المطلبﷺ وقد مُثّل به فقال: "أما والذي أحلف به لئن أظفرني الله بهم لأمثّلن بسبعين مثلك". فنزل قوله تعالى: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ، وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ، إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) [النحل:١٢٦-١٢٧ -١٢٨]، فكفّر عن يمينه وكفّر عما أراده"[١٥٤]. فأوصاه الله بالصبر وعدم الضيق من مكرهم. ويذكر السامرائي أن الله تعالى حذف النون من قوله: (ولا تك) أي: لا يكن في صدرك ضيق عليهم مهما قلّ[١٥٥].

---

(١٥٠). انظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)/أبو البركات حافظ الدين النسفي، ت (٧١٠)هـ/تحقيق: يوسف علي بديوي/راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو/دار الكلم الطيب، بيروت/ط١/ ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م/ (١٧٩/٢)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٥٠/١٣).

(١٥١). انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣١٩/٣).

(١٥٢). انظر: التفسير البسيط/ الواحدي، ت (٤٦٨)هـ/جامعة الإمام محمد بن سعود-الرياض/ط١/ ١٤٣٠ هـ /(٣٨٥/١٢-٣٨٦).

(١٥٣). انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧٣/١٣).

(١٥٤). انظر: أسباب نزول القرآن/أبو الحسن، الواحدي، ت (٤٦٨)هـ/تحقيق: عصام الحميدان/ دار الإصلاح – الدمام/ط٢/ ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م/(٢٨٣/١).

(١٥٥). أسرار البيان في التعبير القرآني/د. فاضل السامرائي/موقع إلكتروني.

*(وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُون) [النمل:٧٠] أي: لا تحزن ولا تهتم لتمالئهم على كيدك ورد ما جئت به وتكذيبك وإعراضهم عنك[١٥٦].

سيقت هذه الآية بمعرض المحاجة في البعث بعد الموت فقال الله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُون، لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين، قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِين) [النمل:٦٧-٦٨-٦٩] فذكر الله حال الأقوام السابقين عندما أنكروا البعث، وكيف سيكون حال من سار على نهجهم، فلما علم به النبي ﷺ تحركت الشفقة في نفسه، فربط الله على قلبه بهذا التشجيع أن لا يحزن عليهم إن أصابهم ما أُنذروا به[١٥٧]. وهذا ورد في القرآن كما في قوله تعالى: (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً) [الكهف:٦].

جاءت الصيغة بالمضارع (يمكرون) للدلالة على تجدد مكرهم بكل من يدعوهم لطريق الحق والصواب.

**٦- الإغواء والصد عن سبيل الله:**

(وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلاَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُون) [سبأ:٣٣] جاءت الآية في سياق حديث جدال الرؤساء مع الضعفاء حيث قال الله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلاَ بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلاَ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِين) [سبأ:٣١].

وأصل الكلام: يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين إذ تأمروننا بالليل والنهار أن نكفر بالله، وقد يكون المعنى بل مكركم بالليل والنهار فحذف المضاف[١٥٨]. ومكر الليل والنّهار: بمعنى الكيد والمنع القوي عن الإيمان، وتأتي بمعنى الاحتيال، وجاءت الإضافة إلى الليل والنهار، لتدل على الدوام والعمل الدؤوب والملازمة[١٥٩].

ويعد الإغواء طريقة متبعة في صد الناس عن دين الله مكراً بهم حيث قال الزمخشري :" أي: تكرّون

(١٥٦). انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٤٢١/٤)، ومفاتيح الغيب للرازي (٢٠٨/٢٥)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٠٨/٢٢).

(١٥٧). انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦/٢٠).

(١٥٨). انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢٠٨/١٥).

(١٥٩). انظر: جامع البيان للطبري (٤٤٦/٢٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٣٢/١٤).

الإغواء مكرّاً دائباً لا تفترون عنه"[١٦٠].

**٨- المكر بمعنى الخداع:**

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُون) [الأنعام:١٢٣]

أي: كما جعلنا في الأقوام السابقة أكابر مجرميها يصدون أهلها عن الخير، كذلك جعلنا أكابر مجرمي قريش يصدون أهل مكة عن الخير إما بغرور من القول أو بباطل من الفعل، وقد نسب الله الإغواء والإضلال للمترفين من الأقوام السابقة فذكر الله تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً) [الإسراء:١٦] [١٦١].

وذكر ابن كثير في تفسيره: أن المكر هنا هو دعاؤهم غيرهم إلى الضلالة بزخرف من القول أو الفعل[١٦٢].

وما يحيق مكرهم إلا بأنفسهم فالمكر هنا هو الكلام الخبيث أو الخديعة[١٦٣].

وسبقت هذه الآية بقوله تعالى: (أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون) [الأنعام:١٢٢]

فكان قوله عطفاً على (كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون) وهو بيان سبب آخر لاستمرار المشركين في ضلالهم، وهو مكر أكابرهم بالرسول ﷺ وكان مكرهم كمكر أكابر الأقوام السابقين، وقد يكون قوله: (لِيَمْكُرُواْ فِيهَا) متعلقاً بـ(جعلنا) والمعنى ليحصل المكر، ففيه تنبيه على أن مكرهم ليس بعظيم الشأن. وفي هذه الآية تسلية لقلب النبي ﷺ( وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُون) الواو للحال، أي: هم في مكرهم إنما يضرون أنفسهم، وما يشعرون بلحاق عاقبة مكرهم بهم.

وكما ذكر القرطبي أنّ عاقبة مكرهم ووباله عائد عليهم من الله عز وجل وهو العذاب الأليم[١٦٤].

---

(١٦٠). الكشاف للزمخشري (٣/٥٨٥).

(١٦١). انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣٣١).

(١٦٢). انظر: المصدر السابق (٣/٣٣١).

(١٦٣). انظر جامع البيان للطبري (٢/٩٥-٩٧)، ومفاتيح الغيب للرازي (١٣/١٣٧).

(١٦٤). انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢/٣٤١)، و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/٧٩).

وأتبعها بقوله تعالى: (وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُون) [الأنعام:١٢٤] لبيان شيء من أحوال أكابر مجرمي مكة، فهم لم يرضوا بالقرآن معجزة؛ بل أرادوا معجزة كمعجزات الأنبياء السابقين، والله أعلم بأهل رسالته، فتوعدهم الله بالذل والهوان والعذاب الشديد، لأنهم كانوا يكيدون للإسلام وأهله بالجدال بالباطل غروراً لأهل الدّين وطاعته أو هو هنا الكذب والخداع والكيد[١٦٥].

***وكذلك قوله تعالى:** (قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُون) [الأعراف:١٢٣]

الآية في قصة دعوة موسى عليه السلام لقومه وسجود السحرة عندما ظهر صدق دعوته، فألقى فرعون شبهتين على العوام، إحداهما: أن إيمان السحرة لم يكن لقوة الدليل؛ بل لمواطأة وتشاور بينهم وبين موسى عليه السلام، والثانية: أن هدفهم من المواطأة الاستيلاء على مصر[١٦٦]، كقوله عز وجل: (إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْر) [طه:٧١].

فقول فرعون إنما كان تدليساً على قومه حتى يبقوا على طاعتهم له كما في قوله تعالى: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِين) [الزُّخرُف:٥٤] [١٦٧].

فالمكر هنا بمعنى الخديعة. فهو تدبير في الخفاء.

*(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين) [الأنفال:٣٠].

أي: يمكرون بك باجتماعهم في دار النّدوة فهم احتالوا في إبطال دين محمدﷺ والله تعالى نصره وقواه، ومكر الله: هو الجزاء على المكر بالاستدراج، والله خير الماكرين إمّا بمعنى أقوى وأشدّ أو مكر

(١٦٥). انظر جامع البيان للطبري (٥٧٨/١٢)، ومفاتيح الغيب للرازي (٣٢٢/١٤).

(١٦٦). انظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية/خالد بن سليمان المزيني/دار ابن الجوزي-الدمام/ط١/١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م/ (٥٦١/١). وانظر: لطائف الإشارات = تفسير القشيري/ عبد الكريم القشيري، ت (٤٦٥)هـ/تحقيق: إبراهيم البسيوني/الهيئة المصرية العامة – مصر/ط٣/ت.ط/ (٦٢٠/١)، ومفاتيح الغيب للرازي (٣٣٩/١)، ومدارك التنزيل للنسفي (٦٤٢/١)

(١٦٧). انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٥٨/٣).

الله خيرٌ في نفسه أو أنفذ وأبلغ تأثيراً[١٦٨].

الآية في ذكر قصة تآمر قريش على النبي قبيل هجرته من مكة، ومع ذلك جاء بالفعل المضارع في موضع الماضي كون الحدث وقع ومضى مع (إذ) لاستحضار الحالة التي دبروا فيها المكر في قوله تعالى: (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ) [فاطر:٩][١٦٩].

***ومنه قوله تعالى:** (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) [النحل:١٢٧] أي: اصبر ولا يضيق صدرك مما يحتالون من الخدع في الصد عن سبيل الله[١٧٠].

**٩- المكر بمعنى التآمر:**

*ومنه قوله تعالى: (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) [يوسف:١٠٢]

أي: يمكرون بيوسف بإلقائه في الجبّ، وقيل: يمكرون بيعقوب حين جاؤوا بالقميص ملطخاً بالدّم، وقيل: تآمرهم على أخيهم[١٧١].

*ومنه قوله تعالى: (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) [غافر:٤٥].

جاءت الآية في ذكر الرجل المؤمن من قوم فرعون الذي كان يدعو قومه للإيمان برسالة موسى عليه السلام فأنكروا دعوته وأصروا على كفرهم، وراموا به كيداً ويتضح لنا هذا الكيد بقوله تعالى: (وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ) [غافر:٤١] وقوله تعالى: (تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ) [غافر:٤٢] (لاَ جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلاَ فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) [غافر:٤٣].

---

(١٦٨). انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ناصر الدين البيضاوي، ت (٦٨٥)هـ/تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي/دار إحياء التراث العربي – بيروت/ط١/ ١٤١٨ هـ /(١٠٩/٣)، وتفسير المنار تفسير القرآن الحكيم/ محمد رشيد رضا، ت (١٣٥٤)هـ/الهيئة المصرية العامة/ر.ط/ ١٩٩٠ م/ (٢٧٤/١١)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٣٤/١١).

(١٦٩). انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٢٧/٩).

(١٧٠). انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥٦١/٢٤)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٨٤/١٩).

(١٧١). انظر: جامع البيان للطبري (٤٦٧/١٦) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٨٩/٣).

(فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) [غافر:٤٤].

يتضح من سياق الآية نوع المكر الذي تعرض له العبد المؤمن، وهو محاولة صرفه عن الإيمان ودخوله في الكفر[١٧٢]، ورجح الرازي أن مكرهم محاولة قتله فهرب إلى الجبل[١٧٣]. فحماه الله تعالى من تآمرهم عليه لقتله وما أرادوا به من شر[١٧٤].

*ومثله قوله تعالى: (مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ) [فاطر:١٠]

أتى المكر هنا بمعنى المؤامرة والكيد والخديعة وتأتي بمعنى المراءاة[١٧٥]. والمراد به مكر القوم الذين اجتمعوا في دار الندوة يتآمرون على النبيﷺ [١٧٦].

ويكون المعنى مكروا المكرات السيئات ويصح أن يكون معناه الذين يعملون السيئات[١٧٧]،(وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ) **قال الرازي: "والمكر هو العمل السيء"**[١٧٨].

**١٠- المكر بمعنى الكيد:**

*منه قوله تعالى: (أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) [الرعد:٣٣].

أي: مكرهم هو كيدهم للإسلام بشركهم أو تمويههم ثم خالوها حقاً وتماديهم في الضلال[١٧٩].

سبقت الآية بقوله تعالى: (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) [الرعد:٣٢] وذلك عندما طلب المشركين من الرسول ﷺ المعجزات على سبيل الاستهزاء

(١٧٢). انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥٢١٩/٢٧).
(١٧٣). انظر: المصدر السابق (٥٢١/٢٧).
(١٧٤). انظر: معالم التنزيل للبغوي (١٥٧/٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٠٧/١٨).
(١٧٥). انظر: جامع البيان للطبري (٤٨٣/٢٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (٧٠٠/٣).
(١٧٦). انظر: الكشاف للزمخشري (٦٠٣/٣).
(١٧٧). انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢٢٧/٢٦)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٤٦/٧).
(١٧٨). المصدر السابق (٢٢٧/٢٦)، والمصدر السابق (١٤٦/٧).
(١٧٩). انظر مفاتيح الغيب للرازي (٥٣/١٩) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٣٥/٩).

والسخرية، فكان ذلك يحزن النبيﷺ ويشق عليه، فأنزل الله هذه الآية تسلية لقلب النبي ﷺ بأن هذا دأب الأقوام السابقة مع أنبيائهم فأصابهم ما أصابهم من عذاب الله، ثم وبّخ الله المشركين لتمسكهم بآلهتهم بتذكيرهم بأن الله علم بكل المخلوقات يحيطها بعنايته، فكيف يستوي مع آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع؟ (١٨٠).

وذكر ابن عاشور أن المكر هنا هو إخفاء وسائل الضرر، لأن أئمتهم وضعوا لهم الأصنام وحسّنوا لهم عبادتها، ومنهم عمرو بن لحي (١٨١).

يتضح مما سبق أن المكر في القرآن جاء بمعانٍ متعددة تختلف باختلاف السياق.

وبما أن المكر لفظ ذكره القرآن فينبغي التعرف على قصص الأقوام السابقة وكيف كان مكرهم بأنبيائهم.

**المبحث الثالث: المكر في قصص القرآن:**

عندما ننظر في التاريخ نجد المكر مرافقاً للإنسان منذ وجوده، فبدأ المكر مع ابليس عندما كاد لآدم وذريته وتعهد بدوام الكيد والمكر وتزيين الفتنة لبني آدم ما دامت السماوات والأرض، هذا المكر الذي وصفه الله تعالى بالضعف والعجز والقصور، فقال الله تعالى:

(الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً) [النساء:٧٦].

وتوالى المكر بعدها بالأنبياء والصالحين مثل:

**أولاً: المكر في قصة نوحعليه السلام:**

قضى نوح عليه السلام تسعة وخمسين عاماً يحاول مع قومه بأساليب شتى، ولكن ما أثمرت جهوده إلا بإيمان قلّة من قومه، فلجأ إلى ربه تعالى بمناجاة مؤثرة يشرح حال قومه وعصيانهم رغم أنّه ما ادّخر جهداً في دعوته بالترغيب والتذكير بنعم الله طوراً وبالترهيب من عذابه تارة أخرى، ولكنّهم سلكوا سبيل العناد واتبعوا سادتهم وكبراءهم، ومَكَر هؤلاء المتنفذون بأتباعهم الضّعفاء وحاولوا صرفهم عن دعوة نوح، فزينوا لهم الكفر وعبادة الأصنام فضلّوا وأضلّوا، فذكر الله ذلك في سورة نوح فقال تعالى: (قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَاراً وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ

(١٨٠). انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٩/٤٤).

(١٨١). انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣/١٥٣).

وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلاَلاً) [نوح:٢١-٢٢-٢٣-٢٤].

هذا المكر الذي وصفه الله عز وجل بـ(كُبَّاراً)، وقد اختلف المفسرين في تفسيرها: فمنهم من قال: "يعني مكراً عظيماً، ويقال: مكروا مكراً كبيراً، ويعني قالوا: كلمة الشرك"[١٨٢]، ومنهم من قال: "المكر السعي بالفساد وذلك بمنع الرؤساء أتباعهم في الإيمان بنوح عليه السلام"[١٨٣].

و(وَمَكَرُوا) معطوف على(من) في قوله تعالى: (مَن لَّمْ يَزِدْهُ) وهم الرؤساء، واختُلف في مكرهم، فقيل: تحريشهم سفلتهم على قتل نوح، وقيل: هو تعزيرهم النّاس بما أوتوا من مال وولد، وقيل: مَكْرهم كُفرهم، وقيل: هو قول سادتهم[١٨٤]، و(كُبَّاراً) صيغة مبالغة من الكبير.

الدّعوة إلى الشّرك هي من أعظم الكبائر الّتي لا يغفرها الله سبحانه وتعالى، وقد سمّيت مكراً، لأنّهم زينوا لقومهم عبادة الأصنام وأنّها دين آبائهم، وهي الّتي تعطيهم المنافع، وحذروا قومهم من ترك عبادتهم، وقد ذكر الله سبحانه ذلك، فقال: (وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً) [نوح:٢٣].

وقد ذكر الله هذه الأصنام الخمسة لكونها من أكبر أصنامهم[١٨٥].

وأقرب الآراء في معنى المكر أنّه إخفاءُ العمل أو الرّأي الّذي يُراد به ضرر الغير، أي: مَكَروا بنوح بإضمار الكيد لهم حتى يقعوا في الضّرّ[١٨٦].

ثانياً: المكر في قصة يوسف عليه السلام:

عانى نبيّ الله يوسف من نوعين من المكر، الأوّل منهما: كان من إخوته غيرةً من مقامه عند أبيه، والثّاني: كان من مكر امرأة العزيز الّتي تربى في حجر زوجها، ومكر النّسوة اللاتي أفشين سرها طمعاً برؤية يوسف، فجاء ختام القصة بـ(ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ

(١٨٢). بحر العلوم/أبو الليث السمرقندي، ت (٣٧٣)هـ/ د.ط/ت.ط/ر.ط/(٣/٤٠٨).

(١٨٣). الوسيط في القرآن المجيد/أبو الحسن الواحدي، ت (٤٦٨)هـ/تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د.أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس/قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي/دار الكتب العلمية- بيروت /ط١/ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م/ (٤/٣٥٩).

(١٨٤). انظر: الكشاف للزمخشري (٤/٦٠٧)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٥/٤٠٠).

(١٨٥). انظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان/ نظام الدين النيسابوري، ت (٨٥٠)هـ/تحقيق: الشيخ زكريا عميرات/دار الكتب العلمية – بيروت/ط١/ ١٤١٦ هـ /(٦/٣٦٤-٣٦٥).

(١٨٦). انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤/٢٠٧).

وَهُمْ يَمْكُرُون) [يوسف:١٠٢] متناسباً مع بداية السورة (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِين) [يوسف:٣].

ويتناسب مع مكيدة إخوة يوسف به حيث قال الله تعالى: (إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِين) [يوسف:٨] وذكر الله قول يعقوب عليه السلام ليوسف وتحذيره من كيد إخوته، فقال الله تعالى: (قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِين) [يوسف:٥]، فظهر مكرهم وكيدهم برغبتهم في قتله أو طرحه في الأرض أو رميه في البئر لكن الله حفظه ورعاه.

وذكر الواحدي في كتابه ((الوسيط)) في قوله تعالى: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِين) [يوسف:٣٠]: أن مكر النسوة كان في التعريض بها حتى تريهم إياه[١٨٧].

وذكر الزمخشري في كتابه ((الكشاف)) عن كلمة (مكرهن): أي: اغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن[١٨٨]، أما مكر إخوة يوسف فكان بمعنى الكيد به سراً، فدبروا الذي في خفية من المكر وهو القتل[١٨٩].

وذكر الشوكاني في عود الضمير في (يمكرون) في قوله تعالى: (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُون) [يوسف:١٠٢] أن قوله تعالى: (يمكرون)؛ أي: يمكرون بيوسف في هذا الفعل، وقيل: الضمير ليعقوب حين جاؤوه بقميص يوسف.

ويبدو أن حذف الضمير هنا ليشمل المكر السيّئ على أخيهم وأبيهم[١٩٠].

**ثالثاً: في مكر قوم موسى عليه السلام:**

دعا موسى عليه السلام قومه وعلى رأسهم فرعون لعبادة الله وحده، وآتاه الله المعجزات كدليل على صدقه فما كان منهم إلا اتهامه بالسحر وعقدوا مباراة بينه وبين السحرة من قومه، فلما جرت المباراة وظهر الحق على الباطل وسجد السحرة وآمنوا بالله، فعدّ فرعون هذا الأمر مكراً مكره موسى مع السحرة، فتوعدهم

(١٨٧). انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (١/٦٦٠-٦٦١).

(١٨٨). انظر: الوسيط / د. وهبة بن مصطفى الزحيلي/دار الفكر – دمشق/ط١/ ١٤٢٢ هـ/ (٢/٦١٠).

(١٨٩). انظر: الكشاف للزمخشري (٢/٤٤٥).

(١٩٠). انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ أبي بكر البقاعي، ت (٨٨٥)هـ/دار الكتاب الإسلامي- القاهرة/ر.ط/ت.ط/ (٤/١٠٦).

بالعذاب الشديد والموت فقال الله تعالى حكاية عنه: (قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُون) [الأعراف:١٢٣]، والمكر هنا "صنعاً صنعتموه في ما بينكم وبين وموسى" [١٩١]. وقيل: المكر هنا المواطأة فقال القرطبي: "إن جرت بينكم وبينه مواطأة في هذا لتستولوا على مصر" [١٩٢].

وظهر مكر حاشية فرعون بالرجل المؤمن الذي وردت قصته في سورة غافر عندما دعاهم للإيمان واتباع موسى عليه السلام وأظهر لهم البينات والدلائل، فأرادوا الشر به فحفظه الله من مكرهم، فقال الله تعالى: (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَاب) [غافر:٤٥].

وكلمة (فوقاه) مشعرةٌ بأن هذا المكر كان خافياً فلم يشعر به هذا الرجل المؤمن، ومما يلاحظ دخول (ما) المصدرية مع الفعل الماضي(مكروا) والمعنى: سيئات مكرهم، وأضاف كلمة (سيئات) إلى المصدر وتسمى هذه الإضافة بيانية وهي في قوة إضافة الصفة إلى الموصوف، لأن المكر سيّئ، ومما ينبغي الإشارة إليه أن جميع السيئات باعتبار تعدد أنواع المكر التي بيتوها[١٩٣].

**رابعاً: مكر قوم عيسى عليه السلام:**

في سورة آل عمران ذكر الله تعالى قصة خلق عيسى عليه السلام ودعوته إلى التوحيد، ونفي الولد، والتأكيد على أن عيسى نبي من أنبياء الله تعالى وهو بشر مثلهم، وقد ختم الله القصة بقوله عز وجل: (وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين) [آل عمران:٥٤] (إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون) [آل عمران:٥٥].

**تعددت آراء المفسرين في تفسير** (وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين) [آل عمران:٥٤]، فقيل: إن اليهود عندما أرادوا قتل عيسى عليه السلام دخل بيتاً فيه كوة–وهي الشعب في الحائط– فرفعه الله إليه، وعندما دخل رجل من اليهود ليقتل عيسى عليه السلام ألقي شبه عيسى عليه، فلما خرج الرجل ظنوه عيسى فقتلوه، والمكر من الله استدراج لا كمكر المخلوقين[١٩٤].

---

(١٩١). انظر: زهرة التفاسير/ محمد أبي زهرة، ت (١٣٩٤)هـ/دار الفكر العربي–دمشق/ر.ط/ت.ط/ (٣٨٦٦/٧).

(١٩٢). انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٥٦١/١).

(١٩٣). انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥٧/٢٤).

(١٩٤). انظر: جامع البيان للطبري (٤٥٣/٦)، ولطائف الإشارات للقشيري (٢٤٥/١) ومفاتيح الغيب للرازي (٢٣٥/٨).

وقيل: مكر الله هو مجازاتهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم الابتداء[١٩٥].

فالمكر: فعل يقصد به ضرر أحد في هيئة تخفى عليه أو تلبيس فعل الإضرار بصورة النفع، فمكر اليهود بعيسى عليه السلام وتآمرهم لقتله قابله مكر الله وذلك بإخفاق مساعيهم وفشل مخططاتهم أو مكر الله هو استدراجهم كان شبيهاً بالمكر من حيث كونه حسن الظاهر سيّئ العاقبة هو ضرر محض، ولكنه يترتب عليه إصلاح عام[١٩٦].

وقد ذكر الله أيضاً مكر قوم ثمود بنبي الله صالح حين تمالؤوا على قتله، وقد ذكر الله تعالى ذلك بقوله: (قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُون) [النمل:٤٩] وكأن المقصد من ذكر التبييت هنا الإشارة إلى وقت إيقاع المكر.

**خامساً: مكر الكافرين:**

ومنه مكر السادة من الكفار والمشركين بأتباعهم، هذا المكر الدؤوب ليلاً ونهاراً ليبعدوهم عن الدخول في دين الإسلام بتزيين عبادة الأصنام وزعمهم أن الرسول ساحر أو مجنون، هذا المكر الذي ذكره الله تعالى حكاية عن حالهم فقال: (وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلاَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُون) [سبأ:٣٣]، ومنه مكر فرعون بقومه حين هددهم بعد إيمانهم بالعذاب الجسدي حتى يبعدهم عن دين الله كما ذكر الله تعالى ذلك: (قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى) [طه:٧١].

ومكر كفار قريش بنبي الله محمد ﷺ عندما عذبوه ونكلوا بأتباعه ومنعوا الناس من الاستماع إليه بادعائهم جنونه أو نعته بالشاعر والساحر، ولم يكتفوا بذلك، بل تآمروا على قتله، ومن ثم تكالبوا عليه بالجيوش وغيرها، ثم بناء مسجد في مدينته لتكون منبراً للتجسس عليه، فواساه الله عز وجل بقوله: (وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُون) [النمل:٧٠].

**المبحث الرابع: لفتات بيانية ولطائف:**

**١- في قوله تعالى:** (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ

---

(١٩٥). انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/٩٨).

(١٩٦). انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٣/٣٥٦-٣٥٧).

وَمَا يَشْعُرُون) [الأنعام:١٢٣]

حيث ذكر ابن عاشور فائدةً للام في قوله تعالى: (ليمكروا) فقال: "واللام في ليمكروا لام التعليل، فإن من جملة مراد الله تعالى من وضع نظام وجود الصالح والفاسد، أن يعمل الصالح للصلاح، وأن يعمل الْفاسدُ للفساد، والمكرُ من جملة الفساد، ولام التعليل لا تقتضي الحصر، فللهِ تعالى في إيجاد أمثالهم حِكم جمَّة، منها هذه الحكمة، فيَظهرُ بذلك شرف الحق والصلاح ويسطع نوره، ويظهرُ اندحاض الباطل بين يديه بعد الصِّراع الطّويل ويجوزُ أن تكُونَ اللَّام المسمَّاة لام العاقبة، وهي في التَّحقيق استعارةُ اللَّام لمعنى فاء التَّفريع" وقال أيضاً: " (ليمكروا) متعلِّق بـ(جعلنا) أي: ليحصل المكر، وفيه على هذا الاحتمال تنبيهٌ على أنَّ مكرهم ليس بعظيم الشَّأن"[١٩٧].

٢- السيئات في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ) [فاطر:١٠] صفةٌ لمحذوفٍ وليس مفعولاً به لـ(يمكرون) والتّقدير: أي: المكرات السّيّئات أو أصناف المكرات السّيّئات على أنّ السَّيِّئات صفةٌ لمحذوفٍ وليس مفعولاً به لـ(يمكرون) لأنّ (مكر) فعلٌ لازمٌ، وجوّز أن يكون مفعولاً على تضمين يقصدون أو يكسبون، وعلى الأوّل فيه مبالغةٌ للوعيد الشّديد على قصد المكر أو هو إشارةٌ إلى عدم تأثير مكرهم[١٩٨].

٣- (يمكرون) في قوله تعالى: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين) [الأنفال:٣٠] أي: يرد مكرهم ويجعل عاقبته عليهم أو يجازيهم عليه أو يعاملهم معاملة الماكرين[١٩٩].

إذا كانت جملة (يمكرون) حالية من جملة (كفروا) فقوله: (يمكر الله) هي الفائدة من الحال، وما قبله تمهيد على أن مكرهم يقارنُه مكر الله، وأتى الله تعالى بصيغة المضارع لـ(يمكرون ويمكر الله) بدلاً من الماضي لاستحضار حالة التي دبروا فيها المكر[٢٠٠]. وإما أن تكون الجملة ليست حالية، بل هي للعطف الصوري والمقصود من الفعل فيها الدوام، أي مكروا بك وما يزالون يمكرون، وجملة يمكرون ويمكر الله لاستحضار حالة مكر الله وقت مكرهم.

---

(١٩٧). التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٩/٨).

(١٩٨). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/شهاب الدين الألوسي، ت (١٢٧٠)هـ/تحقيق: علي عبد الباري عطية/دار الكتب العلمية – بيروت/ط١/ ١٤١٥ هـ/(٣٤٩/١١).

(١٩٩). انظر: روح المعاني للآلوسي (١٨٥/٥).

(٢٠٠). التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٢٨/٩).

عبر بقوله: (يمكر) و(يمكرون) بصيغة المضارع، وهي صيغة الحدوث والتجدد لتدل والله أعلم على تجدد وتنوع وسائل المكر بتنوع الزمان والمكان، ولم يصرح بالاسم الظاهر واكتفى بالضمير ليوحي بخفاء مكرهم وضعفه كضعف الضمير أمام الاسم الظاهر بينما أضاف المكر لاسمه الجليل صراحة ولم يقابله بإعادة الضمير للتفريق بين مكرهم الضعيف ومكر القوي، وذكر (خير الماكرين) استحضاراً لعظمته تعالى في إحداث الفعل وتطميناً لقلوب المؤمنين وإظهاراً لعظمة مكره سبحانه بموجب ألوهيته، وقابل مكرهم الضعيف بالجملة الفعلية فكلما تجدد مكرهم قابله بمكره العظيم[٢٠١].

(والله خير الماكرين) وصف مكره بالخيرية فأفادت الثبات والديمومة فلا قيمة لمكرهم أمام مكر الله المركب الإضافي لله سبحانه وتعالى إن كان مكره تعالى أنفذ وأبلغ تأثيراً فالإضافة للتفضيل، لأن للمكر تأثيراً في الجملة، أما إن كانت إضافته للدلالة على أن مكر الله هو الحق وكان مما يستحقه الممكور به، فلا شركة لمكر الغير فيه فالإضافة للاختصاص لانتفاء المشاركة[٢٠٢].

٤- (تمكرون) في قوله تعالى: (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) [يونس:٢١].
عبر بالمضارع في قوله تعالى: "يمكرون" للدلالة على التكرر، فكلما تكررت كتابتهم كلما تكرر مكرهم، وليس فيها التفات من الغيبة إلى المخاطب لاختلاف معادي الضميرين[٢٠٣].

٥- (كباراً) في قوله تعالى: (وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً) [نوح:٢٢] حيث قال الألوسي: "وإذا اعتبر التنوين في مكراً للتفخيم زاد أمر المبالغة في مكرهم، أي: كبيراً في الغاية"[٢٠٤].

٦- نلاحظ أن كل لفظ دال على المكر الواقع بالأنبياء أو الدعاة إلى شرع الله قد مضى وانتهى لذلك جاء بلفظ الماضي ما عدا آية بلفظ المكر (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال:٣٠]، (ويمكر) الأولى هنا استحضار للحالة التي دبروا فيها المكر، والواو في قوله تعالى: (ويمكرون) إما أن تكون حالية والجملة ال من (الذين كفروا) فتكون جملة (ويمكر الله) هي الفائدة من الحال، وما قبلها تمهيد لها، والمعنى أن مكرهم يقارنه مكر

(٢٠١). دلالة بيانية في قوله تعالى: "ويمكرون ويمكر الله"/أ.د. عبد الله التهاوي/موقع إلكتروني.
(٢٠٢). التفسير الوسيط للقرآن الكريم/محمد سيد طنطاوي/دار نهضة مصر- القاهرة/ط١/١٩٩٨م/(٨٦/٦).
(٢٠٣). التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣٤/١١).
(٢٠٤). انظر: روح المعاني للآلوسي (٨٥/١٥).

الله بهم، والجملة (ويمكرون ويمكر الله) لاستحضار حالة المكر، أو الواو هنا للاعتراض أو العطف الصوري والمراد بالفعل المعطوف الدوام، أي: هم مكروا ولايزالون يمكرون، وتكون جملة (ويمكرون) معترضة، و(يمكر الله) عطوفة على (وإذ يمكر بك)، وجملة (ويمكرون) للاستقبال والمضارع في (ويمكر الله) لاستحضار حالة مكر الله في وقت مكرهم [٢٠٥].

وشبيه ذلك قوله تعالى: (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً، وَأَكِيدُ كَيْداً، فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً) [الطارق:١٥-١٦-١٧]، ولفظ المكر والكيد الخاصة بالكافرين في الآيتين السابقتين بصيغة المضارع التي تدلّ على التّجدد والاستمرار ربمّا للدلالة على أنّ مكر الماكرين بهذا الدّين مستمّر وباق إلى يوم القيامة وأنّ مكر الله لمكرهم بالمرصاد[٢٠٦].

٧- قوله تعالى: (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) [غافر:٤٥] ذكر ابن عاشور أن (ما) مصدرية والمعنى سيئات مكرهم، وهو في قوة إضافة الصفة إلى الموصوف، فكان المكر كله سيئاً مهما تعددت أنواعه[٢٠٧].

٨- قوله تعالى: (وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) [إبراهيم:٤٦].

اللام في (لتزول) إما هي لام الجحود و(إن) نافية، والمعنى وما كان مكرهم مهما بلغ من الإحكام والتدبير أن تزول لأجله الجبال الراسخات، وإن كانت اللام للتعليل فتكون (إن) هنا شرطية، والمعنى الله محيط بتدبيرهم وإن كان مكرهم عظيم تزول من هوله الجبال[٢٠٨]

نلاحظ أن المكر الوارد في الآيات، وإن كان يدل على تدبير الضرر بالغير خفية، يؤدي معاني أخرى بحسب السياق.

## الفصل الثاني: المكر في القرآن الكريم

**ويقسم إلى:**

### المبحث الأول : أسباب المكر وأنواعه.

---

(٢٠٥). انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/٣٢٧-٣٢٨).

(٢٠٦). انظر: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للدغامين ص ٦٦.

(٢٠٧). انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٤/١٥٧).

(٢٠٨). انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٩/١١٠).

**المبحث الثاني: عواقب المكر وعلاجه.**

بما أن المكر صفة عندما تنسب لله على سبيل المشاكلة، وعندما تذكر للعبد تكون مذمومة غالباً، فلابد من معرفة أسبابها وأنواعها.

**المبحث الأول: أسباب المكر وأنواعه:**

**أ- أسباب المكر:**

يجعل الله تعالى المكر المذموم من طرف المشركين، وطالما أنّه من صفات العبد فلابدّ له من أسباب تتعلق بهذا العبد، ومن أبرز أسبابه:

١- البعد عن الله تعالى والغفلة عن ذكره رأس كل خطيئة، فعندما يبتعد الإنسان عن ذكر الله يغلب عليه جانب النّفس الأمّارة بالسوء، وهذا ما نراه في الضعّف النفسي الّذي ذكره العزيز ونسبه إلى النّساء على نحوٍ عام، هذا الضّعف الّذي ألجأهن إلى الكيد والمكر للوصول إلى ما يُرِدْنه كما قال الله تعالى: (فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيم) [يوسف:٢٨].

٢- الاستكبار في الأرض والغرور جعل فرعون يبني بناءً يريد الوصول إلى إله موسى الّذي نازعه على حدّ زعمه في الألوهية[٢٠٩]، فقال الله تعالى مثالاً على الأول: (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُون) [النحل:٢٦].

ومثال الثاني قوله تعالى حكاية عن فرعون: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِين) [القصص:٣٨].

وقد يكون السبب الحسد والغيرة اللذين جعلا إخوة يوسف له دفعهم إلى المكر به بإلقائه في الجبّ، وحتى يخفوا جرمهم هذا مكروا بأبيهم وأحضروا له قميصاً بدمٍ كذب ويقول الله تعالى: (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُون) [يوسف:١٠٢]

وكذلك وصف الله مكر الكافرين بأنّ الجبال تزول لعظيم مكرهم وهوله[٢١٠] فقال: (وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَال) [إبراهيم:٤٦].

---

(٢٠٩). انظر: جامع البيان للطبري (١٩٢/١٧)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٣٣/١٤).

(٢١٠). انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٥٠/١٣).

كذلك إخوة يوسف عندما رأوا معاملة أبيهم ليوسف، حتى خشي أبوهم إن علموا برؤيا يوسف أن يكيدوا له[٢١١]، وقد ذكر الله تعالى ذلك على لسان يعقوب عليه السلام: (قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِين) [يوسف:٥].

٣- العجز عن مقارعة الحجّة بالحجّة فيلجأ الإنسان للمكر حتّى يتخلص الإنسان من خصمه اللدود الّذي عجز عن دفع حجّته كيدُ قوم ابراهيم به عندما عجزوا عن مواجهة حجته الدّامغة على عجز آلهتهم عن الانتصار لنفسها فضلاً عن الانتصار لهم، فمكروا به وكادوا له بإرادتهم حرقه، فنجاه الله تعالى: (وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِين) [الأنبياء:٧٠].

٥- رغبة الإنسان في الوصول لما حرّم الله عليه، فالإنسان عبدٌ لرغباته، وهذا ما دفع امرأة العزيز حتّى تصل ليوسف العفيف فلجأت للمكر به وكان مكرها به أن هيأت الوسائل والأسباب حتّى تصل لما تريد، وقد ذكر الله تعالى ذلك: (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُون) [يوسف:٢٣].

**ب- أنواع المكر:**

والمكر بحسب الفعل يقسم إلى قسمين:

١- مكرٌ محمودٌ: ويكون ذلك بتحري الفعل الجميل، أي: يكون المكر بهدف حسن، ومثله:

أ- القضاء على الشرك وعبادة غير الله تعالى مثل إبراهيم عليه السلام الذي احتال على قومه ليقنعهم بعدم جدوى أصنامهم فادعى السقم ليفر من الاحتفال بعيدهم كما ذكر ذلك الله تعالى بقوله: (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُوم) [الصافات:٨٨] (فَقَالَ إِنِّي سَقِيم) [الصافات:٨٩] (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِين) [الصافات:٩٠] (فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلاَ تَأْكُلُون) [الصافات:٩١] (مَا لَكُمْ لاَ تَنطِقُون) [الصافات:٩٢] (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِين) [الصافات:٩٣]، فلما رأوا آلهتهم قد تحطمت أخذوا يتساءلون عن هوية هذا المجترئ على هذا الفعل، فظنّوا أنّه إبراهيم نظراً لعيبه ولومه المستمر لهم على تقديسهم لها، فأقبلوا إليه، يقول الله تعالى: (قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِين) [الأنبياء:٥٩] (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيم) [الأنبياء:٦٠] (قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُون) [الأنبياء:٦١] (قَالُوا أَأَنتَ

(٢١١). انظر: جامع البيان للطبري (١٥/٥٥٨).

فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيم) [الأنبياء:٦٢] (قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُون) [الأنبياء:٦٣]، وهذه كانت حيلة إبراهيم عليه السلام لإيقاظ قومه وفتح بصائرهم ليدركوا مدى عجز آلهتهم وأنّ الإله الجدير بالعبادة هو الله الواحد الأحد.

ب- وقد يكون الهدف هو استعادة الحقّ لأهله وكفّ يد الظّالم عن ظلمه كما احتال يوسف عليه السلام لضمّ أخيه إليه وتخليصه من ظلم إخوته، وتنبيهِ إخوته حتّى يكفوا عن ظلمهم حيث ذكر الله تعالى ذلك في محكم تنزيله، فقال جل من قائل: (فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُون) [يوسف:٧٠](قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُون) [يوسف:٧١]( قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيم) [يوسف:٧٢] (قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِين) [يوسف:٧٣] (قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِين) [يوسف:٧٤] (قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِين) [يوسف:٧٥]، وبعد هذا التدبير لابدّ من إنهاء هذه الحيلة فقال الله عز وجل تأكيداً لذلك: (كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيم) [يوسف:٧٦] فجاء هذا الختام ليؤكد أن هذا الكيد الذي كاده يوسف هو من كيد الله تعالى ألهمه إلى يوسف وهذا ما أكده المفسرون: "(كذلك كدنا ليوسف) أي: مثل ذلك الكيد العجيب. (كدنا ليوسف) يعني علّمناه إياه وأوحيناه إليه، والكيد مبدؤه السّعي في الحيلة والخديعة، ونهايته إلقاء المخدوع من حيث لَا يشعر في أمر مكروه لا سبيل إلى دفعه"[٢١٢].

٢- مكر مذموم: يتحرى بذلك الفعل القبيح، ومنه قوله تعالى: (وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ) [فاطر:٤٣]. وكذلك قوله تعالى: (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيم) [يوسف:٣١].

فهو مكرٌ باعتبار القصد والغاية [٢١٣]، وبما أنّه صفة ذميمة لم يوصف المؤمن بالمكر في القرآن مطلقاً إلا على لسان أحد أعدائه، وهو فرعون عندما قال الله تعالى حكاية عن فرعون: (قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُون)

(٢١٢). انظر: فتح القدير/ الشوكاني ، ت (١٢٥٠)هـ/دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت/ط١/ ١٤١٤ هـ/ (٥١/٣).

(٢١٣). انظر: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للدغامين ص ٥٢

[الأعراف:١٢٣].

ومنه مكر إخوة يوسف به في قوله تعالى: (اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِين) [يوسف:٩].

**ويقسم المكر بحسب مصدره إلى قسمين:**

١- مكر العبد ويوصف بأنه يصدر من أكابر مجرمي القبيلة أو المجتمع فهم أهل المكر كما أنّه يصدر ممّن يضرّ نفسه بمكره وهو لا يدري، وقد بين الله تعالى ذلك بقوله: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُون) [الأنعام:١٢٣].

٢- مكر الله وسمي مكراً على سبيل المشاكلة والمجاز، ويوصف مكر الله بالسرعة والعظمة وذلك لأنه متيقن الوقوع فهو آت لا محالة ومن حيث خفاؤه له وتدبيره الذي لا يعلمه أحد[٢١٤] كما قال الله تعالى: (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُون) [يونس:٢١].

أما من حيث طبيعة التدبير أو الماهية فهو العدل كل العدل[٢١٥]، ومنه قوله تعالى: (وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون) [النمل:٥٠]، ويتجلى بالاستدراج، والعقوبة بالمثل، والخسف. كما يُوصف بأنه مكر العليم؛ لأنه يعلم السر وأخفى. والكتبة كذلك تكتب مكر الماكرين وكيد الكائدين كما في الآية السابقة ليدل على عقوبة الماكر في الآخرة، كما أن مكر الله سبحانه وتعالى لا يوازيه مكر الماكرين فكل مكر هو دون مكره[٢١٦] (وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّار) [الرعد:٤٢]، حيث فسرها المفسرون بأسباب المكر: "فلله أسبابُ المكر جميعاً، وبيده وإليه، لا يضرُّ مكرُ من مَكَر منهم أحداً إلا من أراد ضرَّه به"[٢١٧].

كما يصف الله تعالى ذاته بأنه خير الماكرين، ولم يقل أفضل الماكرين تمييزاً لمكره وتدبيره عن مكر العبد، حيث وصفه بالخيرية، أي: أنه والله أعلم لا يكون إلا لخير للعبد الممكور به ليتنبه إلى عظيم

---

(٢١٤). انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١١٢/٣).

(٢١٥). انظر: منهجية البحث في التدبير الموضوعي للدغامين ص ٥٢.

(٢١٦). انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (١٩٠/٣)

(٢١٧). جامع البيان للطبري (٤٩٩/١٦).

ذنبه مع الله تعالى.

**ج- وسائل المكر:**

أشار الله تعالى في القرآن الكريم إلى وسائل المكر عند المشركين وسأقسمها إلى نوعين:

أولاً: إذا كان موجهاً لشخص معين كمكر قوم عيسى عليه السلام به عندما أرادوا قتله لما أحس منهم الكفر وهذا ما ذكرته الآية الكريمة: (وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [آل عمران:٥٤]، فنفهم من سياق الآية أن وسائل المكر التي ذكرها بصورة مباشرة وموجهة لشخص بعينه لا تعدو أكثر من ثلاث حالات:

١- القتل وصورة ذلك تآمرهم لقتل النبي ﷺوكذلك مكر فرعون بالرجل المؤمن الذي كان من حاشيته عندما أرادوا قتله، فأنجاه الله تعالى: (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) [غافر:٤٥].

ومصداقه ما حدث مع إبراهيم عليه السلام عندما عجزوا عن مقارعة حجته بحجة ألقوه في النار تعذيباً له، وهذا ما ذكره الله تعالى بقوله: (فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ) [الصافات:٩٨] سمّاه الله كيداً، لأنّهم دبروه خفية على غفلة منه[٢١٨].

٢- الإثبات: وهو الحبس والقيد فهي تدل على دوام الشيء[٢١٩] أو بمعنى يجرحوك جراحة لا تقوم معها[٢٢٠]، ويدخل ضمن ذلك التعذيب الجسدي كما عذب المشركون رسول اللهﷺ وكما عذب فرعون السحرة بعد إيمانهم وقد ذكر الله تعالى ذلك بقوله: (لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأعراف:١٢٤].

٣- النفي من الأرض: وقد ذكر الله تعالى أن مكر قوم شعيب بمن آمن منهم كان اتباع دين الكفار أو النفي من الأرض: (قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ) [الأعراف:٨٨].

---

(٢١٨). التحرير والتنوير لابن عاشور (١٠٧/١٧).

(٢١٩). انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٩١/١٤)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٣٩٩/١)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣٢٧/٩)

(٢٢٠). انظر: لسان العرب لابن منظور (١٩/٢)، وانظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (٥٧/٣).

وكذلك في سورة إبراهيم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِين) [إبراهيم:١٣].

**ثانياً: وسائل أخرى ذكرها القرآن بصورة غير مباشرة وموجهة لجماعة معينة:**

١- التشويش على آيات الله ونسبتها إلى غيره وقد ذكر الله تعالى في سورة يونس[٢٢١].(إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا) [يونس:٢١].

٢- الإنفاق المالي وقد ذكر الله تعالى ذلك: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُون) [الأنفال:٣٦] فهم ما أنفقوا أموالهم إلا مكراً بعباد الله وإيقاعاً للشبهات في قلوبهم[٢٢٢].

٣- القيام بأمر يوصف بالجرأة أو بالعظمة، ومثال الأول: تآمرهم على قتل صالح عليه السلام وتبرئتهم من هذه الجريمة بقولهم لوليه: ما شهدنا هلاك أهله ولا مكان هلاكهم[٢٢٣]، وقد ذكر الله تعالى ذلك بقوله: (وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون) [النمل:٥٠].

ومثال الثاني: كما ذكر الله تعالى كناية عن شدة إحكامهم لهذا المكر أو ذلك الفعل العظيم الذي فعلوه حيث ذكر في تفسير هذه الآية فعلاً عظيماً فعله بعض الماكرين، فكأن مكرهم معدٌّ لتسوية الجبال وإزالتها[٢٢٤].

والآية هي: (وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَال) [إبراهيم:٤٦]

٤- إلباس المكر والعجز لباس الموضوعية[٢٢٥]، وهو مكر فوق المكر كما ذكر الله تعالى حكاية عن حالهم: (وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُون) [الأنعام:١٢٤] والصغار من

(٢٢١). انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢٣١/١٧).

(٢٢٢). انظر: جامع البيان للطبري (٥٢٩/١٣).

(٢٢٣). انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢٩٠/٦).

(٢٢٤). انظر: جامع البيان للطبري (٣٨/١٧وما بعدها)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٥٨/٥).

(٢٢٥). منهجية البحث في التفسير الموضوعي للدغامين ص٦٩.

صَغُر وهو ضد الكبر ومنه صغار بالفتح، ويقصد به هنا الصغارة في القدر والذل والضيم[٢٢٦] فهم يطالبون بأن يوحى إليهم كما يوحى لرسل الله.

**المبحث الثاني: عواقب المكر السيّئ ونتائجه:**

**أولاً: عواقب المكر السيّئ:**

بعد التحذير من المكر السيّئ وبيان وسائله وأنواعه، والتذكير بقصص الأنبياء، لابد من بيان عواقب الآخرة، وتتجلى عواقب المكر بعقوبات دنيوية وعقوبات أخروية:

**١- العقوبة الدنيوية:**

١- أن ينال الماكر من ذات مكره الذي مكره وهذا ما حصل مع بني اسرائيل عندما تآمروا على عيسى بقتله فأذاقهم الله من ذات الكأس، فألقى الله شبه عيسى على رجل منهم فصلب مكان عيسى فكان هذا مكر الله بهم كما وضحت سابقاً في قسم المكر في قصص القرآن، وقد ذكر الله تعالى ذلك بقوله: (وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين) [آل عمران:٥٤].

٢- وقد يكون مكر الله بهم بتمويه مكرهم فيظنونه حقاً[٢٢٧]، وقد ذكر الله تعالى صورة عن ذلك بقوله: (أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَاد) [الرعد:٣٣].

٣- وقد يكون بتركهم على ما هم عليه من الزيغ والضلال كما قال الله تعالى: (أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُون) [الأعراف:٩٩]، فلا يكون بمأمن من عذاب الله إلا الكافرون الخاسرون، وقد ذكر الحسن البصري أن "المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن" [٢٢٨].

٤- أن يعاجلهم الله بعقوبة من عنده قبل أن يقطفوا ثمار مكرهم وصورته قصة قوم صالح حين

---

(٢٢٦). انظر: مادة صغر/لسان العرب لابن منظور (٤/٤٥٩)، وتاج العروس للزبيدي (١٢/٣٢٤).

(٢٢٧). انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/١٨٩).

(٢٢٨). انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٤٥١).

عاجلهم الله بعقوبة (وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونفَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِين) [النمل:٥٠-٥١].

أو يكون مكر الله مصاحباً لمكرهم في أثناء تخطيطهم كما ذكر الله تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين) [الأنفال:٣٠]، وقد يكون مكر الله سابقاً في الوجود على مكرهم فيكون قد دبر عقابهم قبل أن يدبروا كيدهم[٢٢٩], وقد ذكر الله تعالى ذلك بقوله: (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُون) [يونس:٢١].

**٤- الاستئصال والإزالة على نحوٍ كامل:**

ويكون ذلك بإنهاء الماكرين إنهاءً كاملاً، بعد تآمرهم على قتل صالحعليه السلام فذكر الله تعالى كيف كانت عاقبة مكرهم: (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُون) [النمل:٥٢].

ومن الاستئصال أيضاً الخسف والعذاب، وهم يكيدون ويمكرون فيكون الخسف وهم غافلون عن ربهم كما أصاب قوم لوط حين صار عاليها سافلها[٢٣٠]، كذلك ما أصاب بابل، وقد ذكر الله عز وجل ذلك بقوله: (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُون) [النحل:٤٥].

أو الأخذ إما في حال التقلب؛ أي: حال انشغالهم بأمور معيشتهم وتجارتهم، أو حال انتظارهم للعذاب[٢٣١] كما في قوله تعالى: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِين) [النحل:٤٦].

وإما حال التخوف، وهنا بمعنى التنقص؛ أي: حال نقصانهم نتيجة لتفشي الأمراض والفقر والجوع[٢٣٢]، وقد ذكر الله تعالى ذلك على صورة التهديد والنذير في قوله تعالى: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيم) [النحل:٤٧].

---

(٢٢٩). أنوار التنزيل للبيضاوي (١٠٩/٣).

(٢٣٠). انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٢٨/٣).

(٢٣١). انظر: المصدر السابق (٢٢٨/٣).

(٢٣٢). انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦٥/١٤-١٦٧).

ومن الاستئصال عقوبة الغرق كما كانت عقوبة فرعون وحزبه عندما مكروا بالمؤمن فعاقبهم الله تعالى بالغرق[٢٣٣]، وهذا ما وضحه قوله تعالى: (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) [غافر:٤٥].

**٢- العقاب الأخروي:**

وللعقوبة الأخروية أنواع منها:

**أولاً: عذاب القبر:**

وعذاب القبر ثابت بالكتاب والسنة[٢٣٤]، وقد أكد الله تعالى على إلحاق عقوبة عذاب القبر بأهل المكر، ومنهم فرعون وحزبه فقال: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) [غافر:٤٦] وقد أوردها البخاري كنموذج عن عذاب القبر[٢٣٥].

**ثانياً: الخزي:**

**عندما قال الله تعالى:** (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُون) [النحل:٢٦] أتبعه بقوله: (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِين) [النحل:٢٧] ليذكر لنا أن عاقبة الماكرين الخزي، وهذا ما وضحه من تعجيل العذاب لهم، والانتقام بكفرهم، وجحودهم وحدانيته، ثم هو مع ذلك يوم القيامة مخزيهم، فمذلهم بعذاب أليم"[٢٣٦].

وذكر ابن كثير: "يَظْهَرُ لِلنَّاسِ مَا كَانُوا يُسِرُّونَهُ مِنَ الْمَكْرِ، وَيُخْزِيهِمُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ"[٢٣٧].

**ثالثاً: الصغار والذل:**

الصغار : هو أشد الذل[٢٣٨].

---

(٢٣٣). انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥٦٢/٤).

(٢٣٤). انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الأذرعي، ت (٧٩٢) هـ/ تحقيق: أحمد شاكر/وزارة الشؤون الإسلامية-الرياض/ط١/ ١٤١٨ هـ /(٥٧٢/٢).

(٢٣٥). صحيح البخاري /كتاب الجنائز/ باب ما جاء في عذاب القبر/برقم ١٣٧٢.

(٢٣٦). انظر: جامع البيان للطبري (١٩٥/١٧).

(٢٣٧). انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٦٧/٤).

(٢٣٨). انظر: المفردات للراغب الأصفهاني (٤٨٥/١).

ذل في الدنيا يحصل أثره أمام الناس من زال السيادة والهزيمة، والعذاب الشديد في الآخرة[٢٣٩] ذكر الله تعالى ذلك بقوله: (سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُون) [الأنعام:١٢٤].

**رابعاً: النار وبئس المصير:**

وهي عقوبة كل خارج عن طاعة الله وكل من صد عن اتباع منهج الله تعالى، وما يؤكد ذلك عقوبة من تجبر وطغا ومكر بعباد الله فقال جل من قائل: (فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّار) [إبراهيم:٤٧-٤٨-٤٩-٥٠].

بما أن المكر الصادر من العبد يعد صفة ذميمة ومرضاً يحتاج لعلاج:

**المبحث الثاني: علاج المكر السيّئ وطرق الوقاية منه:**

بما أن المكر صفة مذمومة ينبغي التخلص منها فلابد من علاجها:

أولاً: علاج المكر السيّئ:

يكون علاج المكر السيّئ بـ:

١- التوبة : فالمكر كما رأينا خلقٌ سيّئ، يدفع صاحبه إلى الوصول إلى غضب الله ونقمته.

وككل خلقٍ سيّئ لابدّ من التوبة منه والإنابة إلى الله عز وجل، فالله قابل التوب وهو القائل في محكم تنزيله (أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) [التوبة:١٠٤] والقائل: (إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ) [النجم:٣٢]، ويعرف الجرجاني التوبة بقوله: "التوبة: الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب، ثم القيام بكل حقوق الرب"[٢٤٠]. وقد أمرنا الله بالتوبة والرجوع إليه.

٢- الانشغال بذكر الله وطاعته: يقال إذا لم تشغل نفسك بالحق شغلتك بالباطل، كما بين صاحب ((التفسير القرآني للقرآن)): "فذكر الله يطهر القلب ويجعل الانسان راضياً بما قسم الله له حيث أن

(٢٣٩). انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٥٦/٨).

(٢٤٠). انظر: التعريفات/ الجرجاني، ت (٨١٦)هـ/ الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)/دار الكتب العلمية- بيروت/ط١/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م /(٧٠/١)

ذكر الله يقيم الإنسان على الإيمان بالله، ويمسك به في مجال العمل الصالح، فيحيا حياة طيبة، يجد فيها الأمن والسكينة، فإذا كانت الآخرة، وجد ما عمل من صالحات حاضراً، فيسعد به ويهنأ"[٢٤١].

**النتائج والتوصيات:**

بعد هذه الجولة السريعة في رحاب آيات القرآن الحاوية على لفظ المكر نستخلص النتائج الآتية:

١- المكر هو مصطلح قرآني يتغير معناه بحسب مصدره، فإن أضيف للعبد كان بمعنى الاحتيال والخداع، ولا يوصف به الله إلا مشاكلة، وله أيضاً معانٍ أخرى ولكن أشهرها هو ما ذكرنا.

٢- المكر كتعريف اصطلاحي نميز فيه مكراً من طرف العبد ومكراً من طرف الله تعالى على سبيل المشاكلة.

٣- المكر لا يوصف به الله ابتداءً ولا يوصف بالمكر السيِّئ أبداً.

٤- المكر نوعان: مكر محمود ومكر مذموم، وذلك بحسب الغاية والقصد.

٥- المكر بوصفه خلقاً ذميماً له أسباب، من أهمها البعد عن الله تعالى والتعلق بالدنيا.

٦- اللفظ القرآني الواحد يفيد أكثر من معنى، وإن جاء باللفظ نفسه في مواضع مختلفة.

٧- استعمال المكر في القرآن الكريم في السور المكية أو السور المدنية التي تخاطب أهل مكة.

٨- المكر كمفهوم له وسائل وأساليب مختلفة استعملها الانسان منذ وجوده على الأرض.

٩- المكر له عواقب سيئة في الدنيا والآخرة

١٠- المكر سلوكٌ فرديٌّ أو جماعيٌّ ناتجٌ عن مرضٍ نفسيٍّ من أمراض القلوب التي أمرنا الله بتطهير النفس منها.

التوصيات:

١- فيما يخص هذا اللون من التفسير: الإكثار من الدراسات في التفسير الموضوعي، لأنه يفتح لنا أبواباً من الفهم في كتاب الله لم نستطع الإحاطة بها بوجه كامل في الأنواع الأخرى.

٢- السعي لإقامة الندوات والمحاضرات العلمية بهدف التعريف بالتفسير الموضوعي على نحوٍ أوسع.

٣- التحذير من المكر بشتى أنواعه عن طريق الإكثار من المؤلفات فيه.

٤- بيان عواقب المكر على الفرد والجماعة.

(٢٤١). التفسير القرآني للقرآن/ لعبد الكريم يونس الخطيب/ دار الفكر العربي- القاهرة/ر.ط/ت.ط (١١٠/٧).

**فهرس المصادر والمراجع:**

أسباب نزول القرآن/أبو الحسن، الواحدي، ت (٤٦٨)هـ/تحقيق: عصام الحميدان/ دار الإصلاح – الدمام/ط٢/ ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م/.

أسرار البيان في التعبير القرآني/د. فاضل السامرائي/موقع إلكتروني.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم/ لأبو السعود العمادي/ دار إحياء التراث العربي– بيروت/ر.ط/ت.ط.

الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق/عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، ت (١٤١٩)هـ/دار المعارف–مصر/ط٣/ت.ط/.

إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن/الحسين بن محمد الدامغاني، ت (٤٨٧)هـ/تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل/دار العلم للملايين–بيروت/ط٣/١٩٨٠م.

أنوار التنزيل/للبيضاوي/تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي/ دار احياء التراث العربي– بيروت/ ط١/ ١٤١٨ هـ.

كتاب الأفعال/ للسعدي/ عالم الكتاب–بيروت/ ط١/ ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.

البرهان في علوم القرآن/بدر الدين الزركشي، ت (٧٩٤)هـ/تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه– القاهرة/ط١/ ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ لابن عجيبة/ تحقيق: أحمد عبد الله رسلان/ من منشورات د. حسن زكي– القاهرة/ر.ط/ ١٤١٩هـ.

تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)/ أبو منصور الماتريدي، ت (٣٣٣)هـ/تحقيق: د. مجدي باسلوم/دار الكتب العلمية – بيروت/ط١/ ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥.

تاج العروس/ لمرتضى الزبيدي/ دار الهداية–بيروت/ر.ط/ت.ط.

التبيان في تفسير غريب القرآن/لابن الهائم المصري/تحقيق: د.ضاحي عبد الباقي/محمد دار الغرب الإسلامي– بيروت/ ط١/ ١٤٢٣ هـ.

التفسير الموضوعي ونماذج منه/أحمد الزهراني/الجامعة الإسلامية–المدينة المنورة/ر.ط/١٤١٣هـ/

تفسير الشعراوي – الخواطر/للشعراوي/ مطابع أخبار اليوم–مصر/ر.ط/ت.ط.

تفسير القرآن العظيم/ لابن كثير/ تحقيق: سامي سلامة/ دار طيبة–بيروت/ ط٢/ ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م.

تفسير المنار/لرشيد رضا/ الهيئة المصرية العامة للكتاب–مصر/ر.ط/ ١٩٩٠م.

تفسير السمعاني/للسمعاني/تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم/ دار الوطن- الرياض/ ط١/ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

التفسير القرآني للقرآن/لعبد الكريم يونس الخطيب/دار الفكر العربي- القاهرة/ر.ط/ت.ط.

التحرير والتنوير/ لمحمد الطاهر بن عاشور/ الدار التونسية للنشر- تونس/ ١٩٨٤م.

التعريفات/ للجرجاني/ دار الكتب العلمية- بيروت/ ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

تهذيب اللغة/لأبي منصور الأزهري/تحقيق: عبد السلام هارون/الدار المصرية-القاهرة/ر.ط/ت.ط

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/عبد الرحمن السعدي/تحقيق: عبد الرحمن اللويحق/ مؤسسة الرسالة-بيروت/ط١/١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

جامع البيان في تأويل القرآن/ للطبري/تحقيق: أحمد شاكر/ مؤسسة الرسالة-بيروت/ ط١ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

الجامع لأحكام القرآن/ للقرطبي/تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش/ دار الكتب المصرية - القاهرة/ ط٢/ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور/ للسيوطي/ دار الفكر- بيروت.

الرحيق المختوم/ لصفي الدين المباركفوري/ دار الهلال- بيروت/ ط١.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ لشهاب الدين الألوسي/ تحقيق: علي عبد الباري عطية/ دار الكتب العلمية - بيروت/ط١/ ١٤١٥ هـ.

زاد المسير/ لابن الجوزي/ تحقيق: عبد الرزاق المهدي/ دار الكتاب العربي- بيروت/ط١/ ١٤٢٢هـ

الزاهر في معاني كلمات الناس/ لأبو بكر الأنباري/ تحقيق: د. حاتم الضامن/ مؤسسة الرسالة- بيروت/ ط١/ ١٤١٨هـ- ١٩٩٢م.

صفوة التفاسير/لمحمد علي الصابوني/ دار الصابوني للطباعة والنشر- القاهرة/ ط١/١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير/محمد الأمين الشنقيطي، ت (١٣٩٣)هـ/تحقيق: خالد السبت/إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد/دار عالم الفوائد - مكة المكرمة/ط٢/ ١٤٢٦ هـ

غريب القرآن/ للسجستاني/تحقيق: محمد أديب جمران/ دار قتيبة -سورية/ط١/١٤١٦هـ-١٩٩٥م

غريب القرآن/ لابن قتيبة/ تحقيق: أحمد صقر/ دار الكتب العلمية- بيروت/ر.ط/١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

فتح القدير/ للشوكاني/ دار ابن كثير ودار الكلم الطيب- دمشق -بيروت/ ط١/ ١٤١٤هـ.

فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب/الطيبي، ت (٧٣٤)هـ/المكتبة الوطنية-الأردن/ط١/١٤٣٤هـ-٢٠١٣م/.

القاموس المحيط/ للفيروز آبادي/ تحقيق: مكتب تحقيق التراث/ مؤسسة الرسالة- بيروت/ ط٨/ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

الكامل في ضعفاء الرجال/ الجرجاني/ تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض/ دار الكتب العلمية -بيروت/ ط١/ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ للزمخشري/ دار الكتاب العربي- بيروت/ ط٣/ ١٤٠٧هـ

لسان العرب/ لابن منظور/ دار المعارف- القاهرة/ر.ط/ت.ط.

لطائف الإشارات/ للقشيري/ تحقيق: أحمد البسيوني/ الهيئة المصرية العامة للكتاب-مصر/ ط٣.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ لابن عطية/ تحقيق: عبد السلام محمد/دار الكتب العلمية- بيروت/ ط١/ ١٤٢٢هـ.

المكر/ رسالة ماجستير للباحثة إيمان عبد الوهاب/ بإشراف د. خضر سوندك/ كلية النجاح الوطنية -جامعة نابلس.

مدارك التنزيل/للنسفي/تحقيق: يوسف علي بديوي/دار الكلم الطيب-بيروت/ط١/١٤١٩هـ- ١٩٩٨.

مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع/جلال الدين السيوطي، ت (٩١١)هـ/مكتبة دار المنهاج- الرياض/ط١/ ١٤٢٦ هـ.

معاني القرآن/للفراء/تحقيق: أحمد يوسف النجاتي- محمد علي النجار- عبد الفتاح إسماعيل الشلبي/دار المصرية للتأليف والترجمة- مصر/ط١.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير/ لأحمد الفيومي/ المكتبة العلمية-بيروت/ر.ط/ت.ط.

مفتاح العلوم/يوسف بن أبي بكر السكاكي (٦٢٦)هـ/ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور/دار الكتب العلمية، بيروت/ ط٢/ ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧ م.

المفردات في غريب القرآن/للراغب الأصفهاني/تحقيق: صفوان الداوودي/دار القلم- بيروت/ط١/ ١٤١٨هـ.

مفاتيح الغيب/ للرازي/ دار إحياء التراث العربي- بيروت/ط٣/ ١٤٢٠هـ.

مقاييس اللغة/ لابن فارس/ تحقيق: عبد السلام هارون/ دار الجيل- بيروت/ ط١/ ١٤١١هـ-١٩٩١م.

معالم التنزيل/للبغوي/ تحقيق: عبد الرزاق المهدي/ دار إحياء التراث العربي –بيروت/ط١/١٤٢٠هـ

معجم الفروق اللغوية/للعسكري/تحقيق: بيت الله بيات/مؤسسة النشر الاسلامي–عمان/ط١/ ١٤١٢هـ.

منهجية البحث في التفسير الموضوعي/للدكتور زياد الدغامين/دار البشير– عمان/ط١/١٤١٦هـ–١٩٩٥م.

النكت والعيون/للماوردي/تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم/دار الكتب العلمية – بيروت/ت.ط/ر.ط/.

ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن/لابن الهائم/تحقيق: محمد يعقوب التركستاني/مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة/ ط/١ ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢ م.